

علو الهمة
في الوفاء

علو الهمة في الوفاء

ك هو الوفاء قيمة إنسانية نفيسة عظيمة، وهو درة في عقد جيد مكارم الأخلاق، يُغلي قيمة من جعله نُصب عينيه، ويستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، ويستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه.

□ قال الراغب الأصفهاني: «الوفاء: أخو الصِّدْقِ والعَدْلِ، والغَدْرُ: أخو الكذب والجور، ذلك أنَّ الوفاء: صِدْقُ اللسانِ والفِعْلِ معًا، والغَدْرُ كِذْبُ بهما؛ لأن فيه مع الكذب نقضًا للعهد.

والوفاء: يختصُّ بالإنسان، فمن فُقدَ فيه «الوفاء» فقد انسلخ من الإنسانية، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان وصيرَهُ قوامًا لأُمُورِ النَّاسِ، فالنَّاسُ مضطَّرون إلى التَّعاوُنِ، ولا يتمُّ تعاونهم إلَّا بمُراعاةِ العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرتِ القلوبُ وارتفع التَّعائشُ. ولذلك عَظَّمَ اللهُ تعالى أمرَهُ فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾ [البقرة].

وقيل في قوله ﴿وَجَزَاءٌ﴾ ﴿وَنِيَابُكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر]، أي نزهة نفسك عن الغدر، وقد عَظَّمَ حَالُ السَّمَوَالِ فِيمَا التَّزَمَ به من الوفاءِ بَدْرُوعِ امرئِ القيس، ممَّا يدلُّ على أنَّ الوفاءَ قيمةٌ عظيمةٌ قَدَّرَهَا عَرَبُ الجاهليَّةِ، وقد أقرَّهم الإسلامُ على ذلك، ولا يستطيع ذلك إلَّا القليلون، ولقَلَّةُ وجود ذلك في الناسِ قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: 103]، وقد ضُربَ به المثل في العزَّة، فقالت العربُ: «هو أعزُّ من الوفاء»^(١).

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني (٢٩٢ - ٢٩٣).

□ والله دره وهو يقول في «مقاييس اللغة» أن مادة «و ف ي» تدل على «إكْمَالٍ وَتَمَامٍ».

سقى الله أطلال الوفاء بكفِّه فَقَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُهُ وَمَنَازِلُهُ

وإذا ذهب الوفاء نزل البلاء، وإذا ظهرت الخيانة استخفت البركات والوفاء أنسك ممن نكث، والسَّلْوَةُ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ. والوفاء عَقْدُ الإِخَاءِ.

□ قال الأحنف: «الملولُ ليس له وفاء، والكذاب ليس له حياء».

□ «الوفاء هو القوام لمكارم الأخلاق، به تستقيم الحياة، وهو ميزان المروءة، ومقياسُ الفضل في الأفراد والأمم، ولو دان به الناس لوجدوا السعادة كاملة. يُحَدِّثُ الوفاء في نفس الوفيِّ من الغبطة ما لا حدَّ له، وفي نفس المُوَفِّي له الرغبة في البرِّ والمروءة واصطناع المعروف عند الناس»^(١).

□ قال الجرجاني: «الوفاء: هو ملازمة طريقِ المواساة، ومحافظة عهدِ الخُلطاء»^(٢).

□ وقال الجاحظ: «الوفاء هو الصَّبْرُ على ما يبذله الإنسانُ من نفسه ويرهنه به لسانه»^(٣). والخروجُ ممَّا يضمنه - بمقتضى العهد الذي قطعه على

(١) «الوفاء في رحاب القرآن والحديث والأدب» (ص ٦٥ - ٦١) لأيمن عبد الرزاق الشوا - طبع دار الكلم الطيب - بيروت.

(٢) «التعريفات» للجرجاني (ص ٢٧٤).

(٣) معنى هذه العبارة أن الإنسان يُصَبِّحُ رهينة بما ينطق به لسانه، ولا يكون وفيًّا إلا إذا حرَّرَ نفسه بالوفاء بما التزم به، وهذا هو مضمون العبارة في قوله: «والخروج مما ضمنه» أي: خروج الإنسان من العهد الذي قطعه على نفسه، وألزمه به

نفسه - وإن كان مجحفاً به، فليس يعدّ وفياً من لم تلحقه بوفائه أذية وإن قلت، وكلما أضرّ به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء»^(١).

□ وقال الرّاعبُ: «الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه»^(٢).

□ وقال أيضاً: «الوفاء صدق اللسان والفعل معاً»^(٣).

أنواع الوفاء:

للوفاء أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المُوفى به، فهي قد تكون وفاءً بالعهد، وقد تكون وفاءً بالعقد أو الميثاق، وقد تكون وفاءً بالوعد، وتوضيح ذلك فيما يلي:

الوفاء بالعهد: هو - كما ذكر الرّاعبُ - إتمامه وعدم نقض حفظه، ويتطابق من ثمّ صدق القول والعمل جميعاً^(٤)، وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما «العهود ما أحلّ الله وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كلّ»^(٥).

أمّا الوفاء بالعقد: فالمراد به إما العهد، وبذلك يتطابق مع النوع الأول، وقيل: العقود هي أوكد العهود، وقيل: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي ما يتعاقدّه النَّاسُ فيما بينهم^(٦).

لسانه مما ضمّنه للغير.

(١) «تهذيب الأخلاق» (ص ٢٤).

(٢) «المفردات» للرّاعب (ص ٥٢٨).

(٣) «الذريعة» للأصفهاني.

(٤) «المفردات» (٥٢٨)، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (٢٩٢).

(٥) «عمدة التفسير» للشيخ أحمد شاکر (٦٢/٤).

(٦) «تفسير» البغوي (٦/٢).

أما الوفاء بالوعد: فالمرادُ به أن يصبر الإنسانُ على أداء ما يَعِدُ به الغير ويبدله من تلقاءِ نفسه، ويرهنه به لسانه حتى وإن أُضِرَّ به ذلك، وقد ذكرنا من قبل قول الجاحظ: وكلَّمَا أُضِرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء^(١).

الوفاء في القرآن الكريم:

الأمر بالوفاء بالعهد:

* قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ غَافِلِينَ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ أَلا تَشْكُرُونَ ﴿١٥١﴾ وَإِثْمَهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ أَلْفَاظٌ بِمَا كُنْتُمْ بِأَيْمَانِكُمْ أَتْرَفْتُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ يَخْبُرُ عَنِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

(١) انظر: «نصرة النعيم».

* وقال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ①﴾
 فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين
 ② وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من
 المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير
 معجزي الله وبشر الذين كفروا ③ بعذاب أليم ④ إلا الذين عاهدتم من
 المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا ولم يظهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى
 مدتهم ⑤ إن الله يحب المتقين ⑥ فإذا انسَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
 وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَخَصَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ⑦ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑧ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا أَمَرَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
 يَعْلَمُونَ ⑨ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا
 الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ⑩ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ⑪ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
 يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ⑫ اشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ
 ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ⑬ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑭ لَا يَرْقُبُونَ فِي
 مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ⑮ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑯ وَإِنْ نَكَثُوا
 أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا
 أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ⑰ ﴿[التوبة].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ
 وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾
 وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٢﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَشْهُورٌ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ إِذَا كَلِمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۗ ﴾ [الإسراء].

الوفاء صفة الله وعِبَادِهِ:

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٣١﴾ [التوبة].

الوفاء شعبة من شعب الإيمان:

* قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَاءَ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴿البقرة﴾.

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ أَفَنْ يَعْلَمُ أَمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنْ مَا يَنْذُرُكَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفِضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد].

* وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أبتغى وراء ذلك فأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظَرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٤﴾

[الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ [المعارج].

* وقال تعالى: ﴿ يُوَفُّونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ [الإنسان].

الوفاء صفة بارزة للأنبياء عليه الصلاة والسلام:

* قال تعالى عن خليته إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ [النجم].

□ قال الزجاج: «وفى أبلغ من وفى؛ لأن الذي امتحن به إبراهيم الخليل من أعظم المِحن»^(١).

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما قام بدين الله كله إلا خليل الرحمن إبراهيم».

□ وللمفسرين في هذه الآية أقوال:

أحدها: أنه وفى عمل يومه بأربع ركعات في أول النهار.

(١) «الوفاء» لأيمن الشوا (ص ١٣).

والثاني: أنه وَفَى في كَلِمَات كان يقولها.

والثالث: أنه وَفَى الطاعة فِيمَا فعل بابنه.

والرابع: أنه وَفَى رَبِّه جميع شرائع الإسلام.

والخامس: أنه وَفَى ما أُمِر به من تبليغ الرِّسالة.

والسادس: أنه عَمِلَ بِمَا أُمِر به.

والسابع: أنه وَفَى بتبليغ هذه الآيات، وهي ﴿الآنزُرُوا زِرَّةً وَزُرَّ أُخْرَى

﴾ [النجم] وما بعدها.

والثامن: وَفَى شأن المناسك.

والتاسع: أنه عاهد ألا يسأل مخلوقًا شيئًا، فلَمَّا قُذِف في النار قال له

جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أَمَا إِلَيْكَ فِلا. فوفَّى بِمَا عاهد.

والعاشر: أنه أدَّى الأمانة. ولا شك أن حذف المفعول يُطلع على

إعجاز بليغ للقرآن الكريم^(١).

وفاء إسماعيل عليه السلام:

* قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

﴾ [مريم].

* وَفَى عليه السلام لأبيه عليه السلام بما وعده عليه من الصبر بعد عون الله

إياه - فكان صبره وتسليمه أجمل صبر وأتم تسليم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ

فَكَالَ يَبْنَىٰ إِنَّيْ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آتِيَّ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَتَّىٰ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيْتَهُ أَنْ

(١) المصدر السابق (ص ١٣٢، ١٣٣).

يَتَابِرِهِمْ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ
الْمِينُ ﴿١٠٦﴾ وَقَدَيْتَهُ بِذَنْبٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ [الصافات].

وفاء الرسل والأنبياء ﷺ لربهم ولدينهم أعظم الوفاء:

* بأبي هم وأمي، عليهم صلوات ربي وتسليمه، حملهم الله أمانة
الوحي وتكاليف النبوة والرسالة، فقاموا أعظم قيام، ووفوا لربهم أعظم
الوفاء، وحملوا هذه الأمانة في أعينهم، ووفوها إلى الناس أعظم توفيه. قال
تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ
دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ،
تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [المائدة].

وفاء سيد البشر ﷺ أعظم الوفاء:

وستكلم عليه بعد قليل.

الأجر العظيم للموفين بعهدهم:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا
﴿١٠﴾ [الفتح].

فكانت بيعتهم لنبیهم ﷺ أعظم بيعة في أشد المواقف خطرًا، ووفوا
لله ولرسوله ودينهم أعظم الوفاء، فكان جزاؤهم أعظم الجزاء أنه لا
يدخل أحد منهم النار.

• قال ﷺ: «لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة»^(١).

الوفاء بالعقود:

* قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةٌ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوْنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة].

□ واختلفوا في المراد بالعقود ها هنا على خمسة أقوال:

أحدهما: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحل وحرّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدّين كلّها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحلف الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ. قاله ابن جريج.

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

ولعلّ أقوى هذه الأقوال قول ابن عباس: إن المراد بها: عقود الله

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر، ورواه مسلم عن أم مبشر.

التي أوجبها على العباد في الحلال، والحرام، والفرائض، والحدود، ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأخر، فيجب الوفاء بجميع ذلك؛ إلا ما كان عقداً في المعاونة على أمرٍ قبيح، فإن ذلك محظورٌ بلا خلاف.

* قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّفَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب].

ومن الوفاء: إيفاء الكيل والميزان:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام].

أي: أتموه ولا تنقصوا منه.

* وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السِّتْقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿وَيَقِفُوا أَلْمِكيَالِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ﴿٣٥﴾﴾

[هود: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ

أشياءَهُمْ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ (١٨) [الشعراء].

* لقد عذّب الله أمة لم تُوفِ مكيال الدنيا، فكيف بمن نكث عهده مع الله، ولم يوف لله بأي عهد، وطفّف في مكيال الدين ﴿ أَلَا بَعْدًا لِمَدِينٍ ﴾ [هود: ٩٥] توفّي مكيال شهواتك، وتبخس حق آخرتك، وتسرق من صلاتك.

• قال ﷺ: «أَسْرَقُ النَّاسَ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ: لَا يَتِمُّ رُكُوعُهَا وَلَا سَجُودُهَا، وَأَبْخُلُ النَّاسَ مِنْ بَخْلِ بِالسَّلَامِ»^(١).

• يا من لم يوف لله بأي عهد، أما تخشى أن يقول لك في بعض غَدْرَاتِكَ: «اذْهَبْ فَلَا غَفْرَتُ لَكَ»!؟

• قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الْمَوْفُونَ الْمُطِيبُونَ»^(٢).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنْ

الْإِيمَانِ»^(٣).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» و«الصغير» عن عبد الله بن مغفل، وصححه المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٦)، و«صحيح الجامع» (٩٦٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي حميد السَّاعِدِيِّ، وأحمد، وأبو الشيخ، والعقيلي عن عائشة، والطبراني في «الأوسط» وأبو محمد المخلدي عن أبي حميد البزار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٠٥٦).

أَحَادِيثُ عَطْرَةِ فِي «الْوَفَاءِ»^(١):

• عن عقبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحقُّ ما أُوفيتُم من الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَّتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»^(٢).

• عن عبادة بن الصَّامِت رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَضْمِنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمِنُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اتُّمِّنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٣).

• عن وهبِ بنِ كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَاهُ تَوَفَّى وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسَقًا^(٤) لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ^(٥) جَابِرٌ، فَأَبَى أَنْ يَنْظُرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ تَمْرَ نَخْلِهِ بِالتِّي لَه، فَأَبَى، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لَجَابِرٍ: جُدَّ لَه^(٦) فَأَوْفِ لَه الَّذِي لَه، فَجَدَّهُ بَعْدَ

(١) انظر «نصرة النعيم» (٣٦٤٦ - ٣٦٥٧).

(٢) البخاري «الفتح» (٥١٥١/٩) واللفظ له، ومسلم (١٤١٨) أي أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح.

(٣) رواه أحمد (٣٢٣/٥) والطبراني حكاه الهيثمي في «المجمع» (٢١٨/٤) واللفظ عندهما متفق. ورجال أحمد ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة. والحاكم في «المستدرک» (٣٥٩/٤) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال: فيه إرسال.

(٤) الوَسْق: بفتح الواو وكسرها - مَكِيلَةٌ معلومة، وقيل: حِمْلٌ بغير وهو ستون صاعًا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خمسة أرتال وثلث، والجمع أوسق ووسوق.

(٥) استنظره: أي طلب إعطائه مهلة للسداد.

(٦) جُدَّ له: أي اقطع له.

ما رجع رسول الله ﷺ، فأوفاهُ ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابرٌ رسول الله ﷺ ليُخبره بالذي كان، فوجده يُصلي العصر، فلمَّا انصرف أخبره بالفضل^(١)، فقال: أخبر ذلك ابن الخطاب، فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد عَلِمْتُ حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركنَ فيها»^(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يُوتى بالرجل المتوفى عليه الدين، فيسأل: «هل ترك لدينه فضلًا؟» فإن حُذث أنه ترك لدينه وفاء صلّى، وإلا قال للمسلمين: «صلُّوا على صاحبِكُمْ». فلمَّا فتح الله عليه الفُتوح قال: «أنا أُولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوفي من المؤمنين فترك دينًا فعليًّا قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته»^(٣).

• قال ابن عباس رضي الله عنهما فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجالٍ من قريشٍ قدموا تجارًا^(٤) في المُدَّة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّارِ قريشٍ.. الحديث. وفيه: قال - يعني قيصر - فماذا يأمرُكم به؟ قال^(٥): يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وبينها عمًا كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصّدقة، والعفّاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إنني سألتك عن نسبه

(١) أخبره بالفضل: أي بالزيادة.

(٢) البخاري «الفتح» (٥/٢٣٩٦).

(٣) البخاري «الفتح» (٤/٢٢٩٨).

(٤) تجارًا: رجل تاجر والجمع تجار - بالكسر والتخفيف - وتجار - بالضم والتشديد - وتجر.

(٥) قال: يأمرنا أن نعبد الله. القائل هو أبو سفيان.

فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذا الرُّسُلُ تُبَعَثُ في نسب قومها. وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله، قلت: رجلٌ يأتُمُّ بقولٍ قد قيل قبله. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على النَّاسِ ويكذب على الله. وسألتك هل كان من آباءه من ملك، فزعمت، أن لا، فقلت: لو كان من آباءه ملكٌ قلت يطلبُ ملك آباءه، وسألتك: أشرف النَّاسِ يتبعونه أم ضِعْفَاءُهم؟ فزعمت أن ضِعْفَاءَهم أتبعوه، وهم أتباعُ الرُّسُلِ، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخلَ فيه؟ فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخالطُ بشاشته القلوب لا يسخطه أحدٌ. وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرُّسُلُ لا يغدرون. وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأنَّ حربكم وحربةٌ تكون دُولًا، يُدَالُ عليكم المرَّةُ وتُدَالُونَ عليه الأخرى، وكذلك الرُّسُلُ تُبْتَلَى وتكون لها العاقبة. وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عمَّا كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصَّدَقَةِ، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. قال: وهذه صفةُ نبيٍّ قد كنت أعلم أنه خارجٌ، ولكن لم أعلم أنه منكم، وإن يك ما قلت حقًا فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمتُ لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.. الحديث (١).

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأةً من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنَّ أمِّي نذرتُ أن تَحُجَّ فلم تَحُجَّ حتَّى ماتت، فأحُجُّ عنها؟ قال: «نعم، حُجِّي عنها، أَرَأيت لو كان على أمِّك دينٌ أكنْتِ قاضيتَهُ؟ اقضُوا الله، فالله أحقُّ بالوفاء»^(١).

• عن عليِّ بن الحسين: أنَّهم حين قدموا المدينة، من عند يزيد بن معاوية، مقتلَ الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إليَّ من حاجةٍ تأمرني بها؟ قال: فقلت له: لا. قال له: هل أنت معطيٌّ سيف رسولِ الله ﷺ؟ فإنِّي أخافُ أن يغلبك القوم عليه. وإيمُ الله؛ لئن أعطيتني لا يخلصُ إليه أبدًا، حتَّى تَبْلُغَ نفسي. إنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ خطب بنت أبي جهلٍ على فاطمة. فسمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يخطبُ النَّاسَ في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذٍ مُحتلمٌ، فقال: «إنَّ فاطمةَ مِنِّي، وإِنِّي أَخَوْفُ أن تُفتن في دينها»^(٢). قال: ثمَّ ذكر صهرًا^(٣) له من بني عبد شمس. فأثنى عليه في مُصاهريه إيَّاهُ فأحسن. قال: «حدَّثني فصدقني. ووعدني فأوفى لي. وإِنِّي لستُ أحرِّمُ حلالًا»^(٤) ولا أُحلُّ حرامًا. ولكن، والله لا نجتمعُ بنتُ

(١) البخاري «الفتح» (٤/١٨٥٢)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٤) نحوه.

(٢) أن تفتن في دينها: أي بسبب الغيرة الناشئة من البشرية.

(٣) ثم ذكر صهرا: هو أبو العاص بن الربيع. زوج زينب رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ والصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة، وهو مشتق من صهرت الشيء وأصهرته، إذا قربته. والمصاهرة مقاربة بين الأجناب والمتبايعين.

(٤) لست أحرِّم حلالًا: أي لا أقول شيئًا يخالف حكم الله. فإذا أحل شيئًا لم أحرِّمه. وإذا حرِّمه لم أحله، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله و بنت عدو الله.

رسول الله ﷺ وبنْتُ عدوَّ الله مكانًا واحدًا أبدًا»^(١).

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «أوفوا بحلفِ الجاهليَّة، فإنَّ الإسلامَ لم يزدُه إلاَّ شدَّةً، ولا تحذثوا حلفًا في الإسلام»^(٢).

• عن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه وكان شهد بدرًا، وهو أحدُ النُّقباءِ ليلة العقبة؛ أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابةٌ من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأثوا بهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروفٍ. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقبَ في الدنيا فهو كفَّارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثمَّ ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك^(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم وهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ على فضلٍ ماءٍ بالطريق يمنع منه ابن السبيل. ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعه إلاَّ لدنياه، إن أعطاه ما يريد وفى له، وإلا لم يف له. ورجلٌ بايع رجلًا سلعةً بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا، فصدَّقه فأخذها، ولم يعطَ بها»^(٤).

• عن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرة خمس سنين. فسمعتُه يُحدِّثُ

(١) البخاري «الفتح» (٣٧٢٩/٧)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.

(٢) أحمد (٢٠٧/٢) واللفظ له. والترمذي (١٥٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (٥٦٦/٦): كما قال الترمذي.

(٣) البخاري «الفتح» (١٨/١) واللفظ له، ومسلم (٧٠٩).

(٤) البخاري «الفتح» (٧٢١٢/١٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٨).

عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء»^(١). كلما هلك نبي خلفه نبي^(٢). وأنه لا نبي بعدي. وستكون خلفاء فيكثرون». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول»^(٣). وأعطوهم حقهم. فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(٤).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إنني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له النبي ﷺ: «أوف نذرك». فاعتكف ليلة^(٥).

• عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي، إنني حرمت الظلم على نفسي»^(٦) وجعلته بينكم محرماً.

(١) تسوسهم الأنبياء: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.

(٢) كلما هلك نبي خلفه نبي: في هذا الحديث جواز قول: هلك فلان، إذا مات. وقد كثرت الأحاديث به وجاء في القرآن العزيز قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

(٣) فوا ببيعة الأول فالأول: معنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها. وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها. وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين. وسواء كانا في بلدين أو بلد. أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره.

(٤) البخاري «الفتح» (٦/٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) واللفظ له.

(٥) البخاري «الفتح» (٤/٢٠٤٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٥٦).

(٦) إنني حرمت الظلم على نفسي: قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت. وأصل التحريم في اللغة المنع. فسمى تقدسه عن الظلم تحريماً، لمشايبته للممنوع في أصل عدم الشيء.

فلا تظالموا^(١). يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ^(٢) إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته. فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون^(٣) بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم. ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم. ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. قاموا في صعيد واحد فسألوني. فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط^(٤) إذا أدخل البحر. يا عبادي، إنما هي

(١) فلا تظالموا: أي لا تتظالموا. والمراد لا يظلم بعضهم بعضاً.

(٢) كلكم ضال إلا من هديته: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال، إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة». فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ. وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إثارة الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

(٣) إنكم تخطئون: الرواية المشهورة: تخطؤون بضم التاء. وروى بفتحها وفتح الطاء. يقال: خطئ يخطئ إذا فعل ما يآثم به، فهو خاطئ. ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (١٧) [يوسف]. ويقول في الإثم أيضاً: أخطأ. فهما صحيحان.

(٤) إلا كما ينقص المخيط: قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام. ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً. كما قال في الحديث الآخر: «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني. وعطاء

أعمالكم أحصيتها لكم، ثم أوفيتكم إيّاها. فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه».

• عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال: حدّث عثمان بن أبي العاص قال: آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ: «إذا أمتت قوماً فأخفّ بهم الصلّة»^(١).

□ عن أمّ عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح، فما وفّت منّا امرأة غير خمس نسوة: أمّ سليم، وأمّ العلاء، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ، وامرأتين، أو ابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرى»^(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «اشترى رجلٌ من رجلٍ عقاراً^(٣) له. فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّةً^(٤) فيها ذهبٌ. فقال له الذي اشترى العقار. خذ ذهبك مني. إنا اشتريتُ منك الأرض. ولم أتبع منك الذهب. فقال الذي شَرى الأرض^(٥): إنا بعنا الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى

الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه. فإن البحر من أعظم المراثيات عياناً وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع إنها صقيلة لا يتعلّق بها ماء.

(١) مسلم (٤٦٨).

(٢) البخاري «الفتح» (١٣٠٦/٣) واللفظ له، ومسلم (٩٣٦).

(٣) عقاراً: العقار هو الأرض وما يتصل بها. وحقيقة العقار الأصل. سمي بذلك من العقر، بضم العين وفتحها، وهو الأصل. ومنه: عقر الدار، بالضم والفتح.

(٤) جرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٥) شرى الأرض: هكذا هو في أكثر النسخ. وفي بعضها: اشترى. قال العلماء:

الأول أصح. وشرى بمعنى باع كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾.

رجلٍ. فقال الذي تحاكمنا إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال أحدهما: لي غلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريةٌ. قال: أنكحوا الغلامَ الجاريةَ. وأنفقوا على أنفسكما منه. وتصدقاً»^(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم، إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه. فإتّما أنا بشرٌ. فأَيُّ المؤمنين آذيتَه، شتمته، لعنته، جلدته. فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً، تقربه بها إليك يوم القيامة»^(٢).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبّة: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك. وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ ۗ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ۗ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر]، وقال وهيبٌ: حدّثنا خالدٌ «يوم بدر»^(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرصٌ^(٤) وأقرعٌ وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا. فأتى الأبرص فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قدرني^(٥) الناسُ. قال: فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأَيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل

ولهذا قال: فقال الذي شرى الأرض إنما بعثك.

(١) البخاري «الفتح» (٣٤٧٢/٦)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.

(٢) البخاري «الفتح» (٦٣٦١/١١)، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٢٩١٥/٦).

(٤) أبرص: قال في القاموس: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن.

(٥) قدرني الناس: أي اشمأزوا من رؤيتي.

- أو قال: البقر. شكَّ إسحاق - إِلَّا أَنْ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدَهُمَا: الإبل. وقال الآخرُ: البقر قال: فأعطي ناقةً عشراء^(١). فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعْرٌ حسنٌ ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس. قال: فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً. قال: فأبيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرةً حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أَنْ يُرَدَّ إِلَيَّ بَصْرِي فَأَبْصُرُ بِهِ النَّاسَ. قال: فمسحه فردَّ الله إليه بصره. قال: فأبيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاةً والددة^(٢). فأنج هذا وولده هذا^(٣). قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل. ولهذا وادٍ من البقر. ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ^(٤). فقال: رجلٌ مسكينٌ. قد انقطعت بي الحبال^(٥) في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك، بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بغيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك. ألم تكن أبرص يقدرُك النَّاسُ؟ فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كآبراً

(١) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

(٢) شاة والدأ: أي وضعت ولدها، وهو معها.

(٣) فأنج هذا وولد هذا: هكذا الرواية: فأنج، رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثي. وممن حكى اللغتين الأخفش. ومعناه تولد الولادة، وهي النتج والإنتاج. ومعنى ولد هذا، بتشديد اللام، معنى أنتج، والنتاج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالقابلة للنساء.

(٤) أي جاءه في صورة رجل أبرص - كما كان كذلك قبل أن يمسحه الملك.

(٥) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

عن كَابِرٍ ^(١). فقال: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا. وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ. فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. انْقَطَعْتُ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي. فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَزَدَ اللهُ إِلَيَّ بَصْرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ. وَدَعْ مَا شِئْتَ. فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ ^(٢) شَيْئًا أَخَذْتَهُ اللهُ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالِكَ. فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ. فَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ ^(٣).

• عن جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانٍ - وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَّةِ يُقَالُ لَهُ الْمَزْرُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُسَكَّرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مُسَكَّرٍ حَرَامٌ. إِنَّ عَلَى اللهِ وَجَلًّا وَعَهْدًا، لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسَكَّرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَمَا طِينَةُ الْحَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ» ^(٤).

• عن ابْنِ مُحَيْرِيزٍ؛ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُدْعَى الْمَخْدَجِيُّ سَمِعَ رَجُلًا بِالسَّامِ يُدْعَى أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: إِنَّ الْوَتَرَ وَاجِبٌ، قَالَ الْمَخْدَجِيُّ:

(١) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرًا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

(٢) أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

(٤) مسلم (٢٠٠٢).

فرحْتُ إلى عبادة بن الصامتِ فأخبرته، فقال عبادةُ: كذب أبو محمدٍ (١)، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خمسُ صلواتٍ كتبهنَّ اللهُ على العبادِ، فمن جاء بهنَّ لم يضيِّعْ منهنَّ شيئاً استخفافاً بحقهنَّ، كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنةَ، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنةَ، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ: إن شاء عذبهُ، وإن شاء أدخله الجنةَ» (٢).

• عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحابِ النبي ﷺ: أن كُفَّارَ قريشٍ، كتبوا إلى ابن أبيٍّ ومن كان يعبُدُ معه الأوثان، من الأوسِ، والخزرجِ، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة، قبل وقعة بدرٍ: إنكم أويتم صاحبنا، وإننا نُقسِمُ بالله لتقاتلنَّه أو لتخرُجنَّ أو لنسيرنَّ إليكم حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبيٍّ ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيدُ قريشٍ منكم المبالغ، ما كانت تكيذكُم بأكثر ممَّا تُريدون أن تكيذكوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟». فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ، تفرَّقوا، فبلغ ذلك كُفَّارَ قريشٍ، فكتبت كُفَّارُ قريشٍ بعد وقعة بدرٍ إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة (٣) والحصون، وإنكم لتقاتلنَّ صاحبنا، أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحولُ بيننا وبين خدم نساءكم شيءٌ - وهي الخلاخيل - فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ، أجمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى رسولِ الله ﷺ: اخرج إلينا في

(١) كذب: أخطأ - وهي لغة بعض العرب -.

(٢) أبو داود (١٤٢٠) واللفظ له وقال الألباني (١٢٥٨): صحيح، والدارمي (٢٠٨/١) حديث رقم (١٥٧٧).

(٣) الحلقة: الدرع، وقد يراد بها السلاح مطلقاً.

ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليُخرج منا ثلاثون حَبْرًا، حتى نلتقيَ بمكان المنصفِ فيسمعوا منك، فإن صدَّقوك وآمنوا بك، آمنَّا بك، فقُصَّ خبرهم.

فلَمَّا كان الغدُ، غَدَا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائبِ فحصرهم فقال لهم: «إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهدٍ تعاهدوني عليه». فأبوا أن يُعطوه عهدًا، فقَاتلهم يومهم ذلك. ثمَّ غَدَا على بني قريظة بالكتائبِ، وترك بني النَّضِيرِ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه. فانصرف عنهم، وغدا على بني النَّضِيرِ بالكتائبِ فقَاتلهم، حتَّى نزلوا على الجلاءِ، فجَلَّتْ بنو النَّضِيرِ، واحتملوا ما أَقَلَّتِ الإبلُ من أمتعتهم، وأبوابِ بيوتهم وخشبها، فكان نخلُ بني النَّضِيرِ لرسولِ الله ﷺ خاصَّةً، أعطاهُ الله إياها، وخصَّه بها، فقال: ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتالٍ، فأعطى النبي ﷺ، أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجةٍ، لم يقسم لأحدٍ من الأنصارِ غيرهما، وبقي منها صدقةُ رسولِ الله ﷺ، التي في أيدي بني فاطمة (عليها السلام) ^(١).

• عن كعب (رضي الله عنه) أنه تقاضي ابن أبي حذردٍ دينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتَّى سمعها رسولُ الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما حتَّى كشف سِجْفَ ^(٢) حجرته، فنادى: «يا كعب»، قال: لبيك يا رسول الله، قال: «ضع من دينك هذا، وأوماً إليه أي الشَّطْرَ»،

(١) أبو داود (٣٠٠٤) وقال: الألباني (٢٥٩٥): «صحيح الإسناد».

(٢) سِجْفٌ - بفتح السين والكسرهما - : السَّترُ مشقوق الوسط كالمصراعين.

قال: لقد فعلتُ يا رسول الله، قال: «قُمْ فاقضِهِ»^(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: «أَتُنِي بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَاتُّنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَّقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ عَلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ. فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا^(٢)، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَضَرَبْتَنِي بِكَ. وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَضَرَبْتَنِي بِذَلِكَ. وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وُلِحَتْ فِيهِ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدَّمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَاتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلْبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِمَا لَكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أَخْبَرَكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ

(١) البخاري «الفتح» (٥/٢٤١٨).

(٢) زجج موضعها: أي سوَّى موضع النقر وأصلحه.

الذي بعثت في الخشب، فأنصرف بالألف الدينار راشداً»^(١).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء! لا يُنجزكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال واحد منهم: اللهم، إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقراً، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إني لي عندك فرق من أرز. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق. فساقها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت عنهم الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عنهما ليلة، فجنثت وقد رقاداً؛ وأهلي وعيالي يتضاعفون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوظفهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمئة دينار، فطلبتها حتى قدزت، فأتيها بها فدفعتها إليها، فأمكنني من نفسها، فلما قعدت بين رجلها فقالت: اتق الله

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩١).

ولا تَفُضُّ الخاتِمَ إِلَّا بحَقِّهِ، فَمُنْتُ وترَكْتُ المِئَةَ الدِّينَارِ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فعلت ذلك من خَشْيَتِكَ ففَرِّجْ عَنَّا، ففَرِّجَ اللهُ عَنْهُم فَحَرَجُوا»^(١).

□ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت مع عليّ بن أبي طالبٍ حيثُ بعثهُ رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ مَكَّةَ ببراءة قال: ما كنتم تُنادون؟ قال: كُنَّا نُنادِي: أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مؤْمِنٌ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عريانٌ، ومن كان بينه وبين رسولِ الله ﷺ عهدٌ فَإِنْ أَجَلَهُ - أو أمدَهُ - إلى أربعةِ أَشْهُرٍ فإذا مضتِ الأربعةُ الأشهرِ فَإِنَّ اللهَ بريءٌ من المشركينَ ورسولُهُ، ولا يَحْجُجُ هذا البيتَ بعد العامِ مشرِكٌ، فكنْتَ أَنادي حَتَّى صَحَلَ صَوْتِي^(٢)»^(٣).

• عن عبد الله بن عامرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: دعَني أُمِّي يوماً ورسولُ الله ﷺ قاعِداً في بيتنا، فقالت: ها تَعَالَ أُعْطِيكَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قالت: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «أَما إِنَّكَ لو لَمْ تُعْطِيهِ^(٤) شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذْبَةٌ»^(٥).

• عن أمِّ هانِيءِ ابنةِ أبي طالبٍ رضي الله عنها قالت: ذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ عَامَ الفِتحِ فوجدته يغتسلُ وفاطمةُ ابنته تستره، فسَلَّمْتُ عليه فقال: «من

(١) البخاري «الفتح» (٦/٣٤٦٥) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) صحل صوتي: أي بَحَّ أي غلظ وخشونة في الصوت.

(٣) أحمد (٢/٢٩٩) واللفظ له. والترمذي (٣٠٩١-٣٠٩٢) وآخر عنده من حديث

علي رضي الله عنه (٨٧١)، وقد سأله زيد بن أتبغ، وقال الترمذي: حسن، وفي الباب عن أبي

هريرة رضي الله عنه. وابن مردويه والبخاري (٤٦٥٥).

(٤) لم تعطيه: هكذا وردت بإثبات الياء، والقواعد تقتضي حذفها بعد لم.

(٥) أبو داود (٤٩٩١) واللفظ له وقال الألباني (٤١٧٦): حسن، «الصحيحة» (٧٤٨)،

وأحمد (٣/٤٤٧).

هذه؟» فقلت: أنا أمُّ هانئِ بنتُ أبي طالبٍ. فقال: «مرحباً بأمِّ هانئِ»، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثمّانِ ركعاتٍ ملتجئاً في ثوبٍ واحدٍ. فقلتُ: يا رسول الله، زعم ابن أمي عليٌّ، أنّه قاتلُ رجلاً قد أجرته؛ فلانُ ابن هيبرة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرنا يا أمِّ هانئِ»، قالت أمُّ هانئِ: وذلك ضحى^(١).

• عن أبي جرّيٍّ جابر بن سليم، قال: رأيتُ رجلاً يصدر النَّاسُ عن رأيه، لا يقول شيئاً إلاّ صدروا عنه، قلتُ: من هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ، قلتُ: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرٌّ فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عامٌ سنة^(٢) فدعوته أنبتها لك وإذا كنت بأرضٍ قفراءٍ أو فلاةٍ فضلتُ راحلتك فدعوته ردها عليك» قلتُ: اعهد إليّ، قال: «لا تسبَّن أحداً» قال: فما سببتُ بعده حُرّاً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاةً، قال: «ولا تحقرنَّ شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت مُنبسطٌ إليه وجْهك، إنَّ ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت في الكعبين، وإيّاك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة^(٣)، وإنَّ الله لا يحبُّ المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلمُ فيك فلا تُعيره بما تعلمُ فيه، فإنما وبأل ذلك عليه^(٤)».

(١) البخاري «الفتح» (٣١٧١ / ٦) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦).

(٢) عام سنة: أي عام جذب.

(٣) المخيلة - بفتح الميم وكسر الخاء - والخال والخيل والخيلاء والخيلة كله الكبير.

(٤) أبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني: صحيح، والترمذي (٢٨٧٧). وصححه ابن حبان رقم (١٢٢١) في الموارد، ومحقق «جامع الأصول» (٧٤٦ / ١١).

• عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(١).

• عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظلّ الكعبة. والناس مجتمعون عليه. فأتيتهم. فجلستُ إليه. فقال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ. فنزلنا منزلاً. فمنا من يصلح خبأه. ومنا من ينتضل^(٢) ومنا من هو في جشره^(٣) إذ نادى مُنادي رسول الله ﷺ: «الصلاة جامعة»^(٤). فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبيُّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُذرهم شرّ ما يعلمه لهم. وإنّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها. وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور تنكرونها. وتجيء فتنةٌ فيرقق بعضها بعضاً^(٥)، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف. وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل

(١) الترمذي (٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والنسائي

(١/٢٣١) وغيرهم وقال محقق «الجامع» (٥/٢٠٤): وهو حديث صحيح.

(٢) مِنّا من ينتضل: هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٣) في جشره: قوم يخرجون بدوابهم على المرعى ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت.

(٤) الصلاة جامعة: هي بنصب الصلاة، على الإغراء، ونصب جامعة على الحال.

(٥) فيرقق بعضها بعضاً: هذا اللفظة، رويت على أوجه: أحدها، وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة، يرقق أي يصير بعضها رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، والثاني يجعل الأول رقيقاً، وقيل معناه يشبه بعضه بعضاً. وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء. وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. والثاني: فيرقق. والثالث: فيدقق، أي يدفع والدقق هو الصب ويصب.

الجَنَّةِ، فَلنَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ^(١). وَمَنْ بَاعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدُهُ وَثَمْرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطْعِمَهُ إِنْ اسْتَطَاعَ. فَإِنْ جَاءَ آخَرٌ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ» فَدَنُوتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ. وَقَالَ: سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مَعَاوِيَةَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ. وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا. وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

﴿٢٩﴾ [النساء]. قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: أَطِعُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ^(٢).

• عَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرٍ - رَجُلٍ مِنْ حَمِيرٍ - قَالَ: كَانَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ، وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ، وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ، حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بَرْدُونٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَفَاءٌ لَا غَدْرَ، فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةَ، وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقُضِي أَمْدَهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» فَرَجَعَ مَعَاوِيَةَ ^(٣).

(١) وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ: هَذَا مِنْ جَوَامِعِ كَلِمَةِ ﷺ، وَبَدِيعِ حِكْمِهِ. وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مَهْمَةٌ، فَيَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءَ بِهَا. وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَفْعَلَ مَعَ النَّاسِ إِلَّا مَا يُحِبُّ أَنْ يَفْعَلُوا مَعَهُ.

(٢) مُسْلِمٌ (١٨٤٤).

(٣) التِّرْمِذِيُّ (١٥٨٠) وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَأَبُو دَاوُدَ (٢٧٥٩) وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ (٢٣٩٧): صَحِيحٌ. وَعِنْدَ أَحْمَدَ (١١٣/٤) انْظُرْ تَحْقِيقَ «جَامِعِ

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تكافأ دماؤهم: يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجِيرُ عليهم أقصاهم، وهم يَدُّ على من سواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهم على مضعفهم، ومُتَسَرِّعُهُم على قاعدتهم، لا يُقْتَلُ مؤمنٌ بكافرٍ، ولا ذُو عَهْدٍ في عَهْدِهِ»^(١).

• عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صَلَّى الصُّبْحَ، فهو في ذِمَّةِ الله. فلا تخفروا الله في عهده. فمن قتله، طلبه الله حتى يَكُبَّهُ في النَّارِ على وجهه»^(٢).

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وَدِدْتُ أَنْ عِنْدِي بَعْضُ أَصْحَابِي» قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكرٍ؟ فسكت. قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت. قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «نعم» فجاء، فخلا به، فجعل النبي ﷺ يكلِّمُهُ. ووجه عثمان يتغيَّر. قال قيسٌ: فحدَّثني أبو سهلة، مولى عثمان، أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهدًا. فأنا صائرٌ إليه. وقال عليٌّ في حديثه: وأنا صابرٌ عليه. قال قيسٌ: فكانوا يرونه ذلك اليوم»^(٣).

الأصول» (٢/٦٤٨).

(١) أبو داود (٢٧٥١) وقال الألباني (٢٣٩٠): حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/٢٥٥): «إسناده حسن».

(٢) الترمذي (٢١٦٤) و(٢٢٢). وابن ماجه (٣٩٤٥). وقال في «الزوائد»: رجال إسناده ثقات. إلا إنه منقطع. وسعد بن إبراهيم لم يدرك حابس بن سعد، قاله في «التهذيب». وهو عند مسلم (٦٥٧) بلفظ آخر نحوه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥٢/٦)، وبعضه في الترمذي (٣٧١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجه في «المقدمة» (١١٣)، واللفظ له وقال

• عن عليٍّ رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأُمِّي ﷺ إليَّ: «لا يُجْبِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، ولا يَبْغُضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(١).

علو همة النبي ﷺ في الوفاء:

□ قال العلامة الماوردي في كتابه «أعلام النبوة» في شرف أخلاقه وكمال فضائله ما نصّه: «الخصلة السادسة: حفظه للعهد، ووفائه بالوعد، فإنه ما نقض لمحافظٍ عهدًا، ولا أخلف لمراقبٍ وعدًا، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوئ الشيم، فيلتزم فيها الأغلظ، ويرتكب فيهما الأصعب، حفظًا لعهد، ووفاء بوعد؛ حتى يتدبّر معاهدوه بنقضه، فيجعل الله تعالى له مخرجًا».

☞ وكان من هديه ﷺ أن أعداءه إذا عاهدوا واحدًا من أصحابه على عهد لا يَضُرُّ بالمسلمين أمضاه لهم:

• فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيْلٌ. قال: فأخذنا كُفَّارٌ قريش. قالوا: إنكم تُريدون محمدًا؟ فقال: ما تُريده. ما تُريد إلا المدينة. فأخذوا منّا عهدَ الله وميثاقه لننصرِفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «انصِرِفَا. نفي لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم»^(٢).

• ويُجير من أجاره أحدٌ من المسلمين، ولو كانت امرأة، ولا يخيس

محققه في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) رواه مسلم (٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٧).

بأي عهد قال ﷺ: «قد أجزنا»^(١) من أجزت يا أم هانيء»^(٢).
وفي رواية: «وأمننا من أمنت».

عظمُ وفاء النبي ﷺ يوم الحديبية:

• عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: «إنَّ خالد ابن الوليد بالغميم»^(٣) في خيلٍ لقرئشٍ طليعةً، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالدٌ حتى إذا هم بقترة^(٤) الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقرئشٍ، وسار النبي ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يُهبطُ عليهم منها بركتٌ به راحلته، فقال الناسُ: حَلَّ حَلٌّ^(٥). فألحَّت. فقالوا: خلَّاتِ القِصْوَاءُ^(٦). فقال النبي ﷺ: «ما خلَّاتِ القِصْوَاءُ وما ذاك لها بخُلُقٍ. ولكن حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»^(٧). ثمَّ قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني حُطَّةً^(٨) يُعَظَّمُونَ فيها حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا». ثمَّ زَجَرَهَا فَوَثِبَتْ. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ^(٩) قليلِ الماءِ يَبْرَؤُهُ

(١) أجزت الرَّجُلُ: منعتُ مَنْ يُريدُه بسوء.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وزاد أبو داود والترمذي، «وأمننا من أمنت».

(٣) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) قتره: بفتحتين: الغبار الأسود.

(٥) حَلَّ حَلٌّ: هو زجر الناقة للنهوض.

(٦) خلَّاتِ القِصْوَاءُ: حرَّنتُ من غير علة والقِصْوَاءُ: اسم لِنَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٧) حبسها حابس الفيل: أي حبسها الله ﷻ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن

دخولها.

(٨) حُطَّةٌ: أي خصلة.

(٩) ثمد: بفتحتين - أي حُفيرة فيها ماء مثمود أي قليل.

النَّاسُ ^(١) تَبْرَضًا، فلم يَلْبَثُهُ ^(٢) النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِّيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ؛ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ ^(٣). فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ - وَكَانُوا عَيْبَةً نَصَحَ ^(٤) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ - فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ، نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعَوْذُ الْمَطَافِيلُ ^(٥)، وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِيءُ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مَعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ وَأَضْرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتَهُمْ مَدَّةً وَيُحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا ^(٦). وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ^(٧)، وَلِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ» فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأَبْلُغُهُمْ مَا تَقُولُ. قَالَ: فَانْطَلِقْ حَتَّى آتِيَ قَرِيشًا، قَالَ: إِنَّا جِئْنَاكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَاسْمَعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا. فَقَالَ: سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تَخْبِرُونَا عَنْهُ

(١) يتبرضه الناس: أي يأخذون منه قليلاً قليلاً.

(٢) لم يلبثه الناس: أي لم يتركوه يلبث أي يقيم.

(٣) يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه: أي يفور بالماء حتى رجعوا.

(٤) عيبة نصح رسول الله: أي موضع النصيحة له والأمانة على سببه.

(٥) العوذ المطافيل: الناقة التي وضعت إلى أن يقوى ولدها.

(٦) جموا: أي قوا.

(٧) حتى تنفرد سالفتي: أي حتى أموت وأبقى منفرداً في قبري، والسالفة: صفحة

بشيء. وقال ذُوو الرّأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال سمعته يقول كذا وكذا. فحدّثهم بما قال النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، أستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا. قال: أستم تعلمون أنني استنّرت أهل عكاظ، فلما بلّحوا^(١) عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رُشد، اقبلوها ودعوني آتة. قالوا آتته. فاتاه فجعل يُكلّم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك: أي محمّد، أريت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله^(٢) قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإنني والله لا أرى وجوها، وإنني لأرى أشوابًا^(٣) من الناس خليقًا^(٤) أن يفرّوا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات^(٥)، أنحن نفر عنه ندعُه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك. قال: وجعل يُكلّم النبي ﷺ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي

(١) بلّحوا: أي امتنعوا من الإجابة.

(٢) اجتاح أهله: أي أهلك أصلهم.

(٣) أشوابًا: أي أخلاطًا من أنواع شتى.

(٤) خليقًا: أي حقيقًا وجديرًا.

(٥) امصص بظر اللات: البظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم

أحد الأصنام التي كانوا يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ «الأم» بدلًا من «اللات» فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه.

ﷺ ومعه السيفُ وعليه المغفرُ^(١)، فكلما أهوى عروةً بيده إلى لحيّة رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيفِ وقال له: أخز يدك عن لحيّة رسول الله ﷺ. فرفع عروةً رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبه. فقال: أي غدرُ^(٢)، ألسْتُ أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرةُ صحبَ قومًا في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم. فقال النبي ﷺ: «أما الإسلامُ فأقبل، وأما المالُ فلستُ منه في شيء». ثم إنَّ عروة جعل يرمقُ^(٣) أصحاب النبي ﷺ بعينه. قال: فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامةً^(٤) إلّا وقعت في كفّ رجلٍ منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه^(٥)، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظرَ تعظيمًا له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصرَ وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمداً والله ما يتنخّم نخامةً إلّا وقعت في كفّ رجلٍ منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظرَ تعظيمًا له. وإنّه قد عرض عليكم خُطّةً رُشدٍ فاقبلوها. فقال رجلٌ من بني كنانة: دعوني آتته، فقالوا: آتته. فلما أشرف على النبي ﷺ

(١) المغفر: حلق يتقنع به المتسلح وربما كان مثل القلنسوة غير أنها أوسع.

(٢) أي غدر: مبالغة في وصفه بالغدر.

(٣) يرمق: أي يلحظ.

(٤) النخامة: البزقة التي تخرج من أقصى الحلق ومن مخرج الخاء.

(٥) الوضوء - بفتح الواو - : الماء الذي يتوضّأ به.

وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن^(١)، فابعثوها له». فبعثت له، واستقبله الناس يلبنون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوتي آتة. فقالوا: آتته. فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر» فجعل يكلم النبي ﷺ. فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم» قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال سهيل: أما «الرحمن» فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فقال النبي ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم». ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد ابن عبد الله»، فقال النبي ﷺ: «والله إنني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله». قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها». فقال له النبي ﷺ: «على أن تحلوا بيننا وبين البيت فنطوف به». فقال

(١) البدن: جمع بدنة وهي تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه سميت بدنة لعظمها وسمنها.

سهيلٌ: والله لا تتحدّثُ العربُ أنا أخذنا ضغطةً^(١). ولكن ذلك من العام المُقبل، فكتب، فقال سهيلٌ: وعلى أنّه لا يأتيك منّا رجلٌ وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو ويرسفٌ في قيوده^(٢)، وقد خرج من أسفل مكة حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمدٌ أوّل من أفاضيك عليه أن تردّه إليّ. فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتابَ بعد». قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيءٍ أبداً. قال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، قال: ما أنا بمُجزيه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل. قال مكرزٌ: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندلٍ: أي معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيتُ؟ وكان قد عدّبَ عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطّابِ. فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألسنتُ نبيَّ الله حقّاً؟ قال: «بلى» قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قلتُ: فلم نُعطي الدنيّةَ في ديننا إذا؟ قال: «إني رسولُ الله ولستُ أعصيه، وهو ناصرِي»، قلتُ: أو ليس كنتَ تحدثنا، أنا سنأتي البيتَ فنطوفُ به؟ قال: «بلى، فأخبرتُك أنا نأتيه العام؟» قال: قلتُ: لا. قال: «فإنك آتية ومُطوّفٌ به». قال: فأتيتُ أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكرٍ، أليس هذا نبيُّ الله حقّاً؟ قال: بلى، قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلتُ: فلم نُعطي الدنيّةَ في ديننا إذا؟ قال: أيّها الرّجلُ، إنّه لرسولُ الله،

(١) أخذنا ضغطة: أي قهراً.

(٢) يرسف في قيوده: أي يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيد.

وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بفرزه (١)، فوالله إنّه على الحقّ. قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلتُ: لا. قال: فإنك آتية ومطوّفٌ به. قال الزُّهريُّ: قال عمرٌ: فعملتُ لذلك أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم اخلقوا»: قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أمّ سلمة فذكر لها ما لقيت من الناس، فقالت أمّ سلمة: يا نبيّ الله، أئحِبُّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلّقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يخلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا عمًا. ثم جاءه نسوةٌ مؤمناتٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠] حتى بلغ ﴿بِعَصْمِ الْكُوفِرِ﴾ فطلق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير - رجلٌ من قريشٍ - وهو مسلمٌ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيّدًا، فاستلّه الآخر فقال: أجل، والله إنّه

(١) فاستمسك بفرزه: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس والمراد اعتلق به واتبع قوله وفعله ولا تخالفه.

لجيد، لقد جرّبت به ثم جرّبت. فقال أبو بصير: أرنى أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد^(١)، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدّو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا دُعْرًا»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإنّي لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم. قال النبي ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ^(٢) لو كان له أحدٌ» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر^(٣). قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تُشْده الله والرحم كما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبي الله، ولم يقرّوا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت^(٤).

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فكنت

(١) حتى برد: أي حتى مات.

(٢) ويل أمه مسعر حرب: ويل أمه كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم، مسعر حرب: أي من يسعها كأنه يصفه بالإقدام في الحرب.

(٣) سيف البحر: أي ساحله.

(٤) البخاري «الفتح» (٥/٢٧٣٢)، ومسلم مقطعا في (١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥).

على جَمَلٍ ثَفَالٍ^(١) إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرِ الْقَوْمِ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: «مَالِكٌ؟» قَلْتُ: «إِنِّي عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ. قَالَ: «أَمَعَكَ قَضِيبٌ؟» قَلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «أَعْطَيْتَهُ»، فَأَعْطَيْتُهُ فَضْرَبَهُ فَزَجَرَهُ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ أَوَّلِ الْقَوْمِ. قَالَ: «بِعُنْيِهِ»، فَقُلْتُ: بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «بَلْ بِعُنْيِهِ. قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرٍ وَلَكَ ظَهْرُهُ»^(٢) إِلَى الْمَدِينَةِ. فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَحُلُ، قَالَ: «أَيْنَ تَرِيدُ؟» قَلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلَا مِنْهَا. قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟». قَلْتُ: إِنَّ أَبِي تَوَفَّى وَتَرَكَ بَنَاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْكَحَ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبْتُ، خَلَا مِنْهَا، قَالَ: «فَذَلِكَ». فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ: «يَا بِلَالُ أَقْضِهِ، وَزِدْهُ». فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ وَزَادَهُ قِيرَاطًا. قَالَ جَابِرٌ: لَا تُفَارِقُنِي زِيَادَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنِ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ»^(٣).

• عن عائشة رضي عنها قالت: ابتاع رسول الله ﷺ من رجل من الأعراب جَزُورًا^(٤) أو جزائر بوسقي من تمر الذُّخْرَةِ - وتمرُّ الذُّخْرَةِ العَجْوَةُ - فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: «يا عبد الله! إِنَّا قَدْ ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزُورًا أَوْ جَزَائِرَ بَوْسُقِي مِنْ تَمْرِ الذُّخْرَةِ فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ»، قَالَ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

(١) جمل ثفال: أي بطيء السير.

(٢) ولك ظهره إلى المدينة: أي تركبه إلى المدينة.

(٣) رواه البخاري (٤/٢٣٠٩).

(٤) الجزور - بفتح الجيم - البعير ذكرًا كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة، والجمع جُزُرٌ -

بضمين - وجزائر.

وا غَدْرَاهُ، قَالَتْ: فَهَمَّهُ^(١) النَّاسُ وَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ، أَيَغْدِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، ثُمَّ عَادَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّا ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ وَنَحْنُ نَنْظُرُ أَنَّ عِنْدَنَا مَا سَمَّيْنَا لَكَ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَغَدْرَاهُ، فَهَمَّهُ النَّاسُ، وَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ، أَيَغْدِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، فَرَدَّدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمَّا رَأَهُ لَا يَفْقَهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «اذهبْ إِلَى خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ فَقُلْ لَهَا: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِكَ: إِنْ كَانَ عِنْدَكَ وَسُقُ مِنْ تَمْرٍ فَأَسْلِفِينَاهُ حَتَّى نُؤَدِّيَهُ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَذَهَبَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ، ثُمَّ رَجَعَ الرَّجُلُ فَقَالَ: قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَابْعَثْ مَنْ يَقْبِضُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلرَّجُلِ: «اذهبْ بِهِ فَأَوْفِهِ الَّذِي لَهُ» قَالَ: فَذَهَبَ بِهِ فَأَوْفَاهُ الَّذِي لَهُ. قَالَتْ: فَمَرَّ الْأَعْرَابِيُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. فَقَدْ أَوْفَيْتَ وَأَطَيْتَ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْلَيْكَ خَيْرًا عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ الْمُؤَفُّونَ الْمُطِيبُونَ»^(٢).

• عَنْ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه قَالَ بَعَثَنِي قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُقْبِي فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ»^(٣)، وَلَا

(١) فهمه الناس، أي: زجره.

(٢) رواه أحمد (٢٦٨/٦) واللفظ له، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/١٤٠٠):

«إسناد أحمد صحيح».

(٣) لا أخيس العهد: أي لا أنقضه.

أَحْسِسُ الْبُرْدَ، وَلَكِنْ ارْجِعْ، فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ، الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ، فَارْجِعْ» قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَسْلَمْتُ^(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته، أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فطمم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر، والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمّةً وعهداً، فما بأل فلانٍ لطم وجهي؟ فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رُوي في وجهه، ثم قال: «لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصَعَّقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أُدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَيْلِي»^(٢).

ومن تعظيم النبي للوفاء فإنه رضي الله عنه شدد وغلظ في عقوبة من آذى ذمياً - أي معاهداً من أهل الكتاب - أو قتله :

• فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرِحْ»^(٣) رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(٤).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨)، وأحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرک» عن أبي رافع، وصححه الألباني في «الصحيححة» (٧٠٢)، و«صحيح الجامع» (٢٥١٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤١٤/٦).

(٣) لم يرح: أي لم يجد ريحها ولم يشمها.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، وأحمد والنسائي إلا أنه قال: «من قتل قتيلاً من أهل

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل مُعَاهِدًا في غير كُنْهه^(١)، حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة»^(٢).

• وفي رواية للنسائي قال: «مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»^(٣).

• ورواه ابن حبان في «صحيحه» ولفظه قال: «من قتل نفسًا مُعَاهِدَةً بغير حقها لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ریح الجنة لتُوجَدَ من مسيرة مئة عام».

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسًا مُعَاهِدَةً بغير حلها، حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة أن يشمَّ ريحها»^(٤).

وانظر إلى وفاء النبي ﷺ لكافر:

□ قال ابن إسحاق في ذكر يوم بدر: «نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري؛ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبُلِّغُه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة، فلقيه المُجَدَّرُ بن زيادِ البلوي حليف الأنصار فقال له: إن رسول الله ﷺ هنا عن قتلِكَ، ومع أبي البختريِّ زميلٌ له خرج معه من مكة وهو جنادة

الذِّمَّة» ورواه ابن ماجه.

(١) أي في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي والدارمي، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي عن رجل، وكذا رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٨).

ابن مُلَيْحَة، وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له المَجْدَرُ: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إِلَّا بِكَ وَحَدَّكَ. قال: لا والله، إِذَا لَأْمُوتَنَّ أَنَا وهو جميعًا لا يتحدّث عني نساء مكة أَنِّي تركت زميلي حِرْصًا على الحياة. وقال ابن البخترى وهو ينازل المجدر:

لن يُسَلِّمَ ابنُ حُرَّةَ زميلَهُ حتى يموت أو يرى سبيله
قال: فاقتتلا، فقتله المجدر بن زياد..

ثم أتى المجدر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهدتُ عليه أن يَسْتَأْثِرَ فأتيتك به، فأبى إِلَّا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته»^(١).
وفاء رسول الله ﷺ لمطعم بن عدي المقتول على الكفر في يوم بدر:

كان مطعم بن عدي من أشرف قريش، وكان رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، ولقي من ثقيف منكر القول والفعل، وطلب النبي ﷺ جوار بعض رؤساء مكة، فأبوا، فأجاره مطعم بن عدي.

فلَمَّا كانت وقعة بدر بعد ذلك، ودارت الدائرة على قريش، وقُتِلَ نفرٌ من صنائدها، كان بين القتلى مُطعم بن عدي، وفيه يقول حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ:

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفحي بدمعٍ وإن أنزفته فاسكبي الدما
وبكِّي عظيمَ المشعرين كليهما على النَّاسِ معروفُ لهُ ما تكلمَّا
فلو كان مجدُّ يُخْلِدُ الدَّهرَ واحدًا من النَّاسِ أبقيَ مجدُّهُ اليومَ مطعمما

(١) «سيرة ابن هشام» (١/٦٢٩، ٦٣٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/٤٥٠) حوادث السنَّة الثانية.

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لبى مُلَبُّ وأحرما
 فلو سُئِلت عنه مَعَدَّ بأسرها وقحطانُ أو باقي بقية جُرْهُما
 لقالوا هو الموفى بجيرة جاره وذمته يومًا إذا مات ذمًّا
 فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعزَّ وأكرما
 إباءً إذا يابى وأكرم شيمة وأنومٌ عن جارٍ إذا الليلُ أظلمَا

ذلكم رثاء حسان لرجل من المشركين، مات يحارب محمدًا ﷺ وصحبه، يستمع إليه صاحب الدعوة، ويسرُّه أن يرى المسلمين يرددونه.
 • وفي الحديث: «لو كان المطعم حَيًّا، ثم كَلَّمَنِي في هؤلاء التنى - يعني أسارى بدر - لتركتهم».

فأيُّ وفاءٍ فوق هذا؟! يصل إلى أعلى ما تصل إليه الرجولة والإنسانية الكاملة، فيرثي المروءة في عدو هو أحد صرعاة في القتال؟ ذلكم هو الوفاء الذي عَلا فوق كُلِّ شيء.

رسول الله ﷺ يكرم قبيلة ظالمة مغلوبة وفاءً لرضعته حليلة السعدية:

وبعد وقعة حُنين، وفيها كادت هوازن ^(١) تقضي على الإسلام لولا ثباته ﷺ، جاءه وفد منها، وهي الباغية المستكبرة، تطلب العفو عن أسراها، فماذا وجدت لتحرك به رحمته، وتستشير شفقتة؟ لا شيء، فليس أشدَّ سوادًا من ماضيها معه، ولكنها وجدت في وفائه ملجأها ومنتهاها، فقال رجل منهم: يا محمد، إن في الحظائر مرضعاتك وحواضنك، ولو

(١) غزا رسول الله ﷺ هوازن بوادي حُنين بعد فتح مكة. ومنازل هوازن في نجد مما يلي اليمن.

أنا ملحننا^(١) للنعمان بن المنذر أو الحارث بن أبي شمر الغساني، ثم نزل منا مثل الذي نزلت، رجونا عطفه وعائده علينا. فقال ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وبذلك ردّ على هوازن آلاف الأسرى. تلك هي النفس الوفية، التي تكرم أمة ظالمة مغلوبة وفاءً للبن الذي رضعته فيها، فهل للناس وقد عفا فيهم أثر المعروف أن يتذكروا؟.

وفاؤه ﷺ لأمر المؤمنين خديجة بعد موتها ﷺ:

بأبي وأمي رسول الله ﷺ ما كان أعظم وفائه لأمر المؤمنين خديجة ﷺ بعد موتها: «كان إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»^(٢).

• وعن عائشة ﷺ قالت: «ما غرّت على امرأة للنبي ﷺ ما غرّت على خديجة هلكت»^(٣) قبل أن يتزوّجني لما كنت أسمعها يذكرها، وأمره الله أن يبشّرَها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيُهْدِي في خلّائها منها ما يسعهن»^(٤).

• وعن عائشة ﷺ قالت: «ما ذرّت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول:

(١) أي: أَرْضَعْنَا.

(٢) رواه مسلم عن عائشة.

(٣) أي: ماتت. وقد سبق التنبيه على أن هذه الكلمة لا بأس بها.

(٤) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، وأحمد (٥٨/٦ و٢٠٢)، والترمذي

(٣٨٧٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رزقت حُبَّها»^(١).

• وعن عائشة رضي عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي عنها على رسول الله ﷺ فَعَرَفَ استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فَعَرِثُ فقلتُ: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها»^(٢).

قال: «ما أبدلني الله -نيراً منها؛ وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء...!».

• وعن عائشة رضي عنها قالت: دخلت امرأة سوداء على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلتُ: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال. فقال: «إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

وفاء النبي ﷺ للأَنْصَارِ رضي عنهم:

• عن أنس بن مالك رضي عنه عن النبي ﷺ: «الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَالنَّاسُ سَيَكْثَرُونَ وَيَقْلُونَ فاقبلوا من مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئِهِمْ»^(٣).

• وعن أبي قتادة رضي عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر

(١) رواه مسلم (ص ١٨٨٨)، وأخرجه البخاري مختصراً (٥٢٢٩) و(٦٠٠٤)،

وأخرجه الترمذي (٢٠١٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٧)، والبخاري مُعَلَّقًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠)، والترمذي (٣٩٠٧) وقال: هذا

حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في «الفضائل» (٢٢٠).

للأنصار: «ألا إن الناس دثاري، والأنصارُ شعاري، لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصارُ شعبةً لاتبعت شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنت رجلاً من الأنصار، فمن ولي من الأنصار فليُحسن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم، ومن أفرعهم، فقد أفرع هذا الذي بين هاتين» وأشار إلى نفسه ﷺ (١).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مرَّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا (٢). فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر - ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشِي وعيبي (٣)، وقد قُضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٠٧/٥)، والحاكم في «المستدرک» (٧٩/٤) وقال: «هذا صحيح الإسناد» ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: «صحيح».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٢١/٧): قوله: «ذكرنا مجلس النبي ﷺ» أي: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حُزناً على فوات ذلك».

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٢١/٧): قوله: «كرشي وعيبي» أي بطانتي وخاصّتي. قال القرّاز: ضرب المثل بالكرشي لأنه مستقرّ غذاء الحيوان الذي يكون فيه نياؤه، ويقال: لفلان كرش منثور أي عيال كثيرة، والعيبة بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، ويريد أنهم موضع سرّه وأمانته. قال ابن دُرَيْد: هذا من كلامه رضي الله عنه المُوَجَّز الذي لم يسبق إليه، وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة مستودع الثياب والأول أمرٌ باطن والثاني أمرٌ ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأمره الباطنة والظاهرة، والأول أولي، وكلٌّ من الأمرين مستودع لما يخفى فيه.

محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم»^(١).

• ثم انظروا أخيراً إلى مقام الوفاء من نفسه ﷺ، وهو يقول يوم أحد حين أمر بدفن القتلى: «انظروا إلى عمرو ابن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد»^(٢).

□ وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير، فأنته امرأة فبسط لها رداءها. قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمه التي أرضعتها»^(٣).

وفاء الصديق رضي الله عنه للنبي رضي الله عنه:

□ عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب، وكان الحسن بن عليٍّ يُشبهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلوَصًا، فذهبنا نقبضُها فأتانا موته فلم يُعطونا شيئًا، فلَمَّا قام أبو بكرٍ قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَّةٌ فليجيءْ، فقمْتُ إليه فأخبرته، فأمر لنا بها»^(٤).

□ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ قال لي: لو قد جاءنا مالُ البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا. فلَمَّا قبض رسولُ الله ﷺ وجاء مالُ البحرين قال أبو بكرٍ: من كانت له عند رسولِ الله ﷺ عِدَّةٌ فليأتني، فأتيتُه فقلت: إن رسولَ الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءنا مالُ

(١) رواه البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي في «الفضائل» (٢٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/٢٦٥).

(٣) البخاري في «الأدب المفرد».

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٢٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وأصله

عند البخاري (٣٥٤٤)، ومسلم (٢٣٤٢).

البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا. فقال لي: احثه. فحثوت حثية. فقال لي: عدّها. فعددتها، فإذا هي خمسمئة، فأعطاني ألفاً وخمسمئة»^(١).

وفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

□ عن عمرو بن ميمون الأودي؛ قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أذفن مع صاحبي. قالت: كنت أريده لنفسي، فلا وثرته اليوم على نفسي. فلما أقبل: قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، فإذا قبضت فأحملوني، ثم سلّموا، ثم قل: يستأذن عمر ابن الخطاب، فإن أذنت لي فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين، إنني لا أعلم أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا فسَمَى عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. وولج عليه شاب من الأنصار فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله: كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة بعد هذا كله. قال: ليتني يا ابن أخي، وذلك كفافاً لا علي ولا لي. أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيراً، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم، ويُعفى عن مُسيئهم. وأوصيه بدمّة الله ودمّة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم

(١) رواه البخاري (٣١٦٤/٦) وهذا لفظه، ومسلم (٢٣١٤).

بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم، وأن لا يُكَلَّفُوا فوق طاقتهم»^(١).

□ عن معدان^(٢) بن أبي طلحة اليعمرِيّ: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أبا بكر، ثم قال: «رأيتُ رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيتُ كأنَّ ديكًا نقرني نقرتين، قال: وذكر لي أنه ديكٌ أحمرٌ، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر، فقالت: يقتلك رجلٌ من العجم، قال: وإنَّ الناس يأمرُوني أن أستخلف، وإنَّ الله لم يكن ليُضِع دينه وخلافته التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنَّ يعجلُ بي أمرٌ فإنَّ الشورى في هؤلاء السِّتَّة الذين مات نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإنِّي أعلم أن أناسًا سيظعنون في هذا الأمر، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام، أولئك أعداءُ الله الكفارُ الضالُّون، وأيمُ الله، ما أتركُ فيما عهد إليَّ ربي فاستخلفني شيئًا أهمَّ إليَّ من الكلالة^(٣)، وأيمُ الله ما أغلظ لي نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم في شيءٍ منذ صحبتُه أشدَّ ما أغلظ لي في شأنِ الكلالة، حتَّى طعنَ بإضبعه في صدري، وقال: «تكفيك آيةُ الصِّيفِ»^(٤)

(١) البخاري «الفتح» (٣/١٣٩٢).

(٢) تحرفت في «المسند» بطبعته القديمة إلى «معبد» والصواب ما أثبتناه، وانظر «الجرح والتعديل» (٨/٤٠٤).

(٣) الكلالة: أن يموت الرجل ولا يدع والدًا ولا ولدًا يرثانه، فإن كان له أخت فلها نصف ما ترك وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللمذكر مثل حظ الانثيين.

(٤) الآية (١٧٦) من سورة النساء وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.. إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦). وآية الصِّيف: أي التي نزلت في الصِّيف.

التي نزلت في آخر سورة النساء، وإني إن أعش فسأقضي فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ، وإني أشهد الله على أمراء الأمصار، إني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم، ويبيّنوا لهم سنة نبيهم ﷺ ويرفعوا إلي ما عمي عليهم، ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيتين، هذا الثوم والبصل. وأيم الله لقد كنت أرى نبي الله ﷺ يجد ريحهما من الرجل فيأمر به فيؤخذ بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع، فمن أكلهما لا بدّ فليمتهما طبخاً، قال: فخطب الناس يوم الجمعة وأصيب يوم الأربعاء^(١).

□ عن أبي بن كعب في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٢) وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صورهم فاستنطقهم فتكلّموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن برّبكم. قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أبائكم آدم ﷺ أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنّه لا إله غيري، ولا ربّ غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي، يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتيبي. قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك، فأقرّوا بذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: ربّ لولا سوّيت بين عبادك، قال:

(١) أحمد (١٥/١) وقال الشيخ أحمد شاکر (١٩٢/١): «إسناده صحيح».

(٢) هكذا وردت في «مسند أحمد»، وفي رواية حفص ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية ١٧ من سورة الأعراف.

إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْكُرَ. وَرَأَى الْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ مِثْلَ السُّرْجِ عَلَيْهِ النُّورُ، خُصُّوا بِمِثَاقٍ آخَرَ فِي الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ .. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] كَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْوَاحِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى مَرْيَمَ^(١).

حَضُّ عَثْمَانَ عَلَى الْوَفَاءِ:

□ «كُتِبَ عَثْمَانُ رضي الله عنه إِلَى عَمَالِهِ وَوَلَاتِهِ عَقِبَ تَوَلِيَّتِهِ الْخِلَافَةَ هَذَا الْكِتَابِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ، خَذُوا الْحَقَّ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ، وَالْأَمَانَةَ الْأَمَانَةَ قَوْمُوا عَلَيْهَا، وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ مَنْ يَسْلُبُهَا فَتَكُونُوا شُرَكَاءَ مَنْ بَعْدَكُمْ، الْوَفَاءُ الْوَفَاءُ، لَا تَظْلَمُوا الْيَتِيمَ وَلَا الْمَعَاهِدَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَصَمٌ مِنْ ظَلَمَهُمْ»^(٢).

□ إِنْ الْوَفَاءُ لَيْسَتْ كَلِمَةٌ مَهْمَلَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا، أَوْ مَيْتَةٌ لَا رُوحَ فِيهَا، إِنَّمَا الْوَفَاءُ رَحْبُ الْمَعَانِي، وَاسِعُ الدَّلَالَةِ، وَصَلَةُ وَشِجْعَةٌ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ كُلِّهَا، وَشَعْبُ الْإِيمَانِ بِتَمَامِهَا.

الْوَفَاءُ لِلْعَلَمِ أَوْلَى مِنَ الْوَفَاءِ لِلصَّحْبَةِ:

□ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْوَفَاءِ مُوَافَقَةُ الْأَخِ فِيمَا يَخَالِفُ الْحَقَّ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، بَلِ الْوَفَاءُ لَهُ الْمَخَالَفَةُ، فَقَدْ كَانَ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَكَانَ يَقْرَبُهُ، وَيُقْبَلُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: مَا يَقِيمُنِي بِمِصْرَ غَيْرِهِ، فَاعْتَلَّ مُحَمَّدٌ، فَعَادَهُ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ:

(١) رَوَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِ أَبِيهِ (٥/١٣٥)، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ فِي تَفَاسِيرِهِمْ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ جَعْفَرِ الرَّازِيِّ بِهِ.
(٢) «الْوَفَاءُ» (ص ١٣٢).

مرض الحبيبُ فعدتُه فمرضتُ من حذري عليه
وأتى الحبيبُ يعودني فبرئتُ من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقتة إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علته التي مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم - وهو عند رأسه - ليومئ إليه، فقال الشافعي: سبحان الله! أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي، مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين، وترك المداهنة، وآثر رضا الله تعالى.

فلما توفي الشافعي انقلب محمد بن عبد الحكيم عن مذهبه، ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك رحمته الله وهو من كبار أصحاب مالك، وآثر البويطي الزهد والخمول، ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة، وصنف كتاب الأم، الذي ينسب الآن إلى الربيع ابن سليمان، ويعرف به، وإنما صنفه البويطي، ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه، وأظهره.

والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله.

الوفاء:

□ قال الأحنف: «الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير.

□ ومن آثار الصدق والإخلاص وتَمَام الوفاء: أن تكون شديد

الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها، كما قيل:
 وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب»
 وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: «لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ
 ثلاثين سنة ما يخيل إليّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي».

□ ومن الوفاء: ألا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا سيما من
 يظهر أولاً أنه محب لصديقه - كيلا يتهم - ثم يلقي الكلام عرضًا، وينقل
 عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب، ومن
 لم يحترز منه لم تدم مودته أصلًا.

□ قال واحد لحكيم: «قد جئت خاطبًا لمودتك، قال: إن جعلت
 مهرها ثلاثًا فعلت، قال: وما هي؟ قال: لا تسمع عليّ بلاغة، ولا
 تخالفني في أمري، ولا توطئني عشوة».

□ ومن الوفاء: ألا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي رحمته: «إذا
 أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك».

أخي: كن سموأل الإسلام في وفائك لربك وللخلق:

□ ممّا أسفرت عنه وجوه الأوراق، وأخبرت به الثقات في الآفاق،
 وظهرت روايته بالشام والعراق، وضرب به الأمثال في الوفاء بالانفاق،
 حديث السموأل بن عاديا، وتلخيص معناه أن امرأ القيس الكندي، لما
 أراد المضي إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعًا وسلاحًا،
 وأمتعة تساوي من المال جملة كثيرة. فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك
 كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل. فقال السموأل: لا
 أدفعها إلا لمستحقها. وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده فأبى، وقال:

لا أغدرُ بدمّتي، ولا أخونُ أمانتي، ولا أتركُ الوفاءَ الواجبَ عليّ. فقصدُهُ ذلكَ الملكُ من كندة بعسكره فدخلَ السّمؤالَ في حصنه، وامتنع به. فحاصرهُ ذلكَ الملكُ، وكان ولدُ السّمؤالَ خارجَ الحصنِ فظفر به ذلكَ الملكُ وكان ولدُ السّمؤالَ خارجَ الحصنِ فظفرَ به ذلكَ الملكُ فأخذهُ أسيراً ثمّ طاف حولَ الحصنِ وصاح بالسّمؤالِ. فأشرف عليه من أعلى الحصنِ. فلمّا رآه قال له: إنّ ولدك قد أسرتَه، وها هو معي، فإن سلمت إلى الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلتُ عنك وسلّمْتُ إليك ولدك، وإن امتنعتَ من ذلكَ ذبَحْتُ ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهُمَا شئتَ. فقال له السّمؤالُ: ما كنتُ لأخفرَ ذمامي، وأبطلَ وفائي، فاصنع ما شئتَ. فذبحَ ولدهُ وهوينظرُ. ثمّ لمّا عجزَ عن الحصنِ رجعَ خائباً، واحتسبَ السّمؤالُ ذبحَ ولدهِ وصبرَ، محافظةً على وفائه. فلمّا جاء الموسمَ وحضر ورثةُ امرئ القيس سلّمَ إليهم الدروعَ والسّلاحَ. ورأى حفظَ ذمامه ورعاية وفائه أحبَّ إليه من حياة ولدهِ وبقائه. صارتِ الأمثالُ في الوفاءِ تضربُ بالسّمؤالِ، وإذا مدحوا أهلَ الوفاءِ في الأنامِ ذكّرَ السّمؤالُ في الأولِ»^(١).

﴿ أخي: أعجزت وأنت المسلم فيك كل معاني النور، أن تكون كالسّمؤالِ في وفائه، وأعلى منه مرتبة وفائك لعهدك مع ربك، ومع رسولك ﷺ.. وإسلامك؟!﴾

وَقَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِندَشِيِّ إِنِّي
وَإِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَقَيْتُ
وَقَالُوا: إِنَّهُ كُنْزُ رَغِيبٍ،
وَلَا - وَاللَّهِ - أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ

(١) «المستطرف» (١/٢٨٩).

بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا
طَمِيرًا تَزَلُّ الْعِقْبَانُ عَنْهُ
□ وقال الأعشى في ذلك:

شَرِيحٌ لَا تَتْرُكُنِي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ
كُنْ كَالسَّمْوَالِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ
بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءٍ مَنْزِلُهُ
إِذْ سَامَهُ خُطَّتِي خَسَفِ فَقَالَ لَهُ
فَقَالَ: غَدْرٌ وَتَكْلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا
فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ:
هَذَا لَهُ خَلْفٌ إِنْ كُنْتَ قَاتِلُهُ
فَقَالَ تَقْدِيمَةً إِذْ قَامَ يَقْتُلُهُ:
أَفْتُلُ ابْنَكَ صَبْرًا أَوْ تَجِيءُ بِهِ
فَشَكَ أَوْ دَاجَهُ وَالصَّدْرُ فِي مَضْضٍ
وَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ أَنْ أَلَا يُسَبَّ بِهَا
وَقَالَ: لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمَكْرَمَةٍ
وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلِقَ

وَبِئْرًا كَلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ
إِذَا مَا نَابَنِي ظَلَمٌ أَيْتُ

حِبَالِكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقِدِّ أَظْفَارِي
فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَارِ
مَهْمَا تَقُلُهُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ^(١)
فَاخْتَرْتُ، وَمَا فِيهَا حِظٌّ لِمُخْتَارِ
ادْخُ أُسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ خَوَّارِ
أَشْرَفَ سَمْوَالٍ فَانظُرْ لِلدَّمِ الْجَارِي
طَوْعًا؟ فَانْكُرْ هَذَا أَيَّ انْكَارِ
عَلَيْهِ مُنْطَوِيًّا كَاللَّذْعِ بِالنَّارِ
وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِي غَيْرِ مَخْتَارِ
فَاخْتَارَ مَكْرَمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ
وَزَنْدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبِ الْوَارِي^(٢)

(١) أي: يا حارث.

(٢) «الوفاء» (ص ٩٠ - ٩٢).

وفاء الطائي الجاهلي خذ منه العظة وعلو الهمة:

الوفاء بالعهد ورعاية الذمم نُقِلَ فيه من عجائب الوقائع، وغرائب البدائع، ما يُطربُ السَّماعَ، ويُشَنِّفُ المسامعَ، كقضية الطائي وشريك، نديمي النعمان بن المنذر. وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين: يوم بُؤس، من صادفه فيه قتله وأرادهُ، ويوم نعيم، من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه، وكان هذا الطائي قد رماه حادثٌ دهره بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئاً لصيبته وصغاره، فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بُؤسه، فلما رآه الطائي علم أنه مقتولٌ وأن دمه مطلولٌ. فقال: حيّا الله الملك إن لي صبيةً صغاراً، وأهلاً جياً، وقد أرقّت ماءً وجهي في حصول شيءٍ من البلغة لهم، وقد أقدمني سوء الحظّ على الملك في هذا اليوم العبوس، وقد قرئت من مقرّ الصبية والأهل وهم على شفا تلفٍ من الطوى، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المرؤعة من الحي، لئلا يهلكوا ضياعاً ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره. فلما سمع النعمان صورة مقاله، وفهم حقيقة حاله، ورأى تلهفه على ضياع أطفاله، رَقَّ له ورثى لحاله، غير أنه قال له: لا أذن لك حتى يضمّنك رجلٌ معنا، فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يَا شَرِيكَ بْنَ عَدِيٍّ مَا مِنْ الْمَوْتِ انْهَزَامٌ
مَنْ لَأَطْفَالٍ ضِعَافٍ عَدِمُوا طَعْمَ الطَّعَامِ

بَيْنَ جُوعٍ وَأَنْتِظَارٍ وَافْتِقَارٍ وَسِقَامٍ
يَا أَخَا كُلِّ كَرِيمٍ أَنْتَ مِنْ قَوْمِ كِرَامٍ
يَا أَخَا النُّعْمَانِ جُدِّي بِضَمَانٍ وَالتَّزَامِ
وَلَكَ اللَّهُ بِأَنِّي رَاجِعٌ قَبْلَ الظَّلَامِ

فقال شريك بن عدي: أصلح الله الملك، عليّ ضمّانه، فمرّ الطائي مسرعاً، وصار النعمان يقول لشريك: إنّ صدر النهار قد ولّى، ولم يرجع، وشريك يقول: ليس للملك عليّ سبيلٌ حتى يأتي المساء، فلمّا قرب المساء، قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك قم فتأهبّ للقتل، فقال شريك: هذا شخصٌ قد لاح مقبلاً، وأرجو أن يكون الطائي، فإن لم يكن فأمر الملك ممثلاً، قال: فبينما هم كذلك وإذ بالطائي قد اشتدّ في عدوه وسيره مسرعاً، حتى وصل، فقال: خشيتُ أن ينقضني النهار قبل وصولي، ثمّ وقف قائماً، وقال: أيها الملك، مرّ بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيتُ أعجب منكماً، أمّا أنت يا طائي فما تركت لأحدٍ في الوفاءٍ مقاماً يقوم فيه، ولا ذكراً يفتخرُ به، وأمّا أنت يا شريك فما تركت لكريمٍ سماحةً يُذكرُ بها في الكرماء، فلا أكونُ أنا ألامّ الثلاثة، ألا وإني قد رفعتُ يوم بُؤسي عن النَّاسِ، ونقضتُ عادتي، كرامةً لوفاءِ الطائي وكرم شريك. فقال الطائي:

وَلَقَدْ دَعَنْتَنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي فَعَدَدْتُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْإِضْلَالِ
إِنِّي أَمْرٌ مَنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفَعَالَ كُلِّ مُهَذَّبٍ مَفْضَالِ

فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء وفيه إتلافٌ نفسك، فقال:

ديني، فمن لا وفاء فيه لا دين له، فأحسن إليه النعمان ووصله بما أغناه
وأعادته مكرماً إلى أهله وأنا له ما تمنأه»^(١).

وفاء عبد الله بن طاهر للخليفة المأمون:

ومن ذلك ما حُكي أن الخليفة المأمون، لما ولي عبد الله بن طاهر
بن الحسين مصر والشَّام، وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض أخوانه
يوماً فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب،
وهو أه مع العلويين، وكذلك كان أبوه قبله، فحصل عند المأمون شيءٌ
من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر، فتشوش فكره وضاق صدره،
فاستحضر شخصاً وجعله في زيِّ الزُّهاد، والنُّسَّاك الغزاة ودسَّه إلى عبد
الله بن طاهر وقال له: امضِ إلى مصر، وخالط أهلها، وداخل كبراءها
واستملهم إلى القاسم بن محمد العلوي، واذكر مناقبه، ثمَّ بعد ذلك
اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر، ثمَّ اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد
ذلك وادَّعه إلى القاسم بن محمد العلوي، واكشف باطنه، وابتحث عن
دفين نيته وأتني بما تسمع. ففعل ذلك الرَّجُل ما أمره به المأمون،
وتوجَّه إلى مصر، ودعا جماعةً من أهلها، ثمَّ كتب ورقةً لطيفةً ودفعها إلى
عبد الله بن طاهر وقت ركوبه، فلما نزل من الرُّكوب وجلس في مجلسه،
خرج الحاجبُ إليه وأدخله على عبد الله بن طاهر، وهو جالسٌ وحده،
فقال له: لقد فهمتُ ما قصدته، فهات ما عندك فقال: ولي الأمان؟ قال:
نعم فأظهر له ما أراده ودعاهُ إلى القاسم بن محمد. فقال له عبد الله، أو
تنصِّفني فيما أقواله لك؟ قال: نعم قال: فهل يجبُ شكر الناسِ بعضهم

(١) «المستطرف» (١/٢٨٧ - ٢٨٨).

لبعض عند الإحسانِ والمِنَّةِ؟ قال: نعم، قال: فيجبُ عليّ وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنَّعمة، والولاية، ولي خاتم في المشرق، وخاتم في المغرب، وأمري فيما بينهما مطاعٌ، وقولي مقبولٌ. ثمَّ إني ألتفتُ يمينًا وشمالًا فأرى نعمةَ هذا الرجلِ غامرةً، وإحسانه فائضًا عليّ، أفتدعونني إلى الكفر بهذه النِّعمة، وتقول اغدر وجانب الوفاء، والله لو دعوتني إلى الجنة عيانًا لما غدرتُ ولما نكثتُ بيعته، وتركتُ الوفاء له. فسكتَ الرَّجُلُ فقال له عبد الله: والله، ما أخافُ إلا على نفسك. فأرحلُ من هذا البلد، فلمَّا يسَّسَ الرجلُ منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع إلى المأمون فأخبره بصورة الحال فسره ذلك، وزاد في إحسانه إليه، وضاعف إنعامه عليه^(١).

وفاء امرأة مسلمة لزوجها بعد مماته :

□ قال رجل من بني أسيد: «أضللتُ إبلاً لي، فخرجتُ في طلبهنَّ، فهبطتُ واديًا، إذا أنا بفتاةٍ أعشى نورٌ وجهها نورٌ بصري؛ فقالت لي: يا فتى، ما لي أراك مُدْمَمًا - ساهي القلب ذاهل العقل -؟ فقلت: أضللتُ إبلاً لي فأنا في طلبها؛ قالت: أفأدُلُّك على من هي عنده، وإن شاء أعطاكها؟ قلتُ: نعم ولك أفضلهنَّ. قالت: الذي أعطاكهن أخذهن وإن شاء ردهنَّ. فسله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار؛ فأعجبني ما رأيتُ من جمالها وحسن كلامها، فقلت: ألك بعل - زوج -؟ قالت: قد كان، ودُعِيَ فأجاب، فأعيد إلى ما خلق منه. قلت: فما قولك في بعلٍ تؤمنُ بوائقه - شروره وغوائله - ولا تُدْمُ خلائقه؟ فرفعت رأسها وتنفَّستُ

(١) المرجع السابق (١/٢٨٨).

وقالت:

كُنَّا كغُصْنينِ فِي أصلِ غِذَاؤُهُمَا
فاجتثَّ خَيْرُهُمَا مِن جَنبِ صَاحِبِهِ
وَكَانَ عَاهِدُنِي إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ
وَكَنتِ عَاهِدَتِهِ إِنْ خَانَهُ زَمَنٌ
فَلَم نَزَلْ هَكَذَا وَالوَصْلُ شِيمَتُنَا
فَاقْبِضْ عِنَانَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَرُدُّعُهُ
مَاءُ الجِدَاوِلِ فِي رَوْضَاتِ جَنَاتِ
دَهْرٍ يَكُرُّ بِتَرَحَاتِ وَفِرْحَاتِ
أَلَا يَضَاجِعُ أَنثَى بَعْدَ مَثْوَاتِي
أَلَا أَبْوَاءٌ يَبْعَلُ طَوَلَ مَحِيَاتِي
حَتَّى تُؤَوِّيَ قَرِيبًا مُذْ سُنِّيَاتِ
عَنِ الوَفَاءِ خِلافُ بِالتَّحِيَّاتِ»^(١)

وفاء المرأة لزوجها جالبٌ للسعادة في بيتها، وهي بذلك خير النساء:

• قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيفة^(٢)، فتلحِقُكَ بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك^(٣)، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً^(٤)، فإن ضربتها أتعتك، وإن تركتها لم تلحِقُكَ بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»^(٥).

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

(٢) أي: مُدَلَّلَةٌ سريعة.

(٣) أي: بالقبيح من القول.

(٤) أي: متقاربة الخطأ، بطيئة السير.

(٥) حسن: رواه الحاكم في «المستدرک» عن سعد، وحسنه الألباني في «الصحيحة»

• وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ تَسْرُكُ إِذَا أَبْصَرْتَ، وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَ، وَتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ»^(١).

وفاء عَوْفِ بْنِ مُحَلَمٍ:

كان من وفائه أن مروان القرظ بن زباع غزا بكر ابن وائل، فقصوا أثر جيشه، فأسره رجلٌ منهم وهو لا يعرفه، فأتى به أمه، فلما دخل عليها قالت له أمه: إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال لها مروان: وما ترتجين من مروان؟ قالت: عظم فدائه، قال: وكم ترتجين من فدائه؟ قالت: مئة بعير، قال مروان: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعة بنت عَوْفِ بْنِ مُحَلَمٍ.

وكان السبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمى بالمتزوف ضرطاً لما مات أخذت بنو عبس فرسه وسلبه، ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله، وسلبوا امرأته خُماعة بنت عَوْفِ بْنِ مُحَلَمٍ، وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب ابن أسماء، فسألها مروان القرظ: مَنْ أنتِ؟ فقالت: أنا خُماعة بنت عَوْفِ بْنِ مُحَلَمٍ، فانتزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم، وقال لها: غطّي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك، ووقع بينه وبين بني عبس شرّاً بسببها.

ويقال: إن مروان قال لعمرو وذؤاب: حَكِّماني في خُماعة، قالوا: قد حَكَّمناك يا أبا صهبان! قال: فإني اشتريتها منكما بمئة من الإبل، وضمَّها

(١٨٠٣)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٦).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨)، و«صحيح الجامع» (٣٢٩٩).

إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كِسْوَتَهَا، وأخْدَمَهَا، وأكْرَمَهَا، وَحَمَلَهَا إِلَى عُكَاظٍ، فَلَمَّا انْتَهَى بِهَا إِلَى مَنَازِلِ بَنِي شَيْبَانَ قَالَ لَهَا: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي، وهذه قُبَّةُ أَبِي، قال: فانطلقني إلى أبيك، فانطلقت فخبّرت بصنيع مروان، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه في أمر خُمَاعَةَ، وَرَدَّهَا إِلَى أَبِيهَا:

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ خُمَاعَةَ بَعْدَ مَا	خَلَّاهَا ذُؤَابٌ غَيْرَ خَلْوَةٍ خَاطِبٍ
وَلَوْ غَيْرُهَا كَانَتْ سَبِيَّةَ رَجُلٍ	لَجَاءَ بِهَا مَقْرُونَةٌ بِالذُّؤَابِ
وَلَكِنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ	رَجَاءَ الثَّوَابِ أَوْ حِذَارِ الْعَوَاقِبِ
فَدَافَعْتُ عَنْهَا نَاشِئًا وَقَبِيلَهُ	وَفَارِسَ يَعْجُوبٍ وَعَمْرَو بْنَ قَارِبِ
فَفَادَيْتُهَا لِمَا تَعَيَّنَ نَصْفُهَا	بِكُومِ الْمَتَالِيِّ وَالْعِشَارِ الضَّوَارِبِ
صُهَابِيَّةٍ مُخْمَرِ الْعَثَانِينَ وَالذُّرَى	مَهَارِسَ أَمْثَالِ الصُّخُورِ مَصَاعِبِ

في أبيات مع هذه؛ فكانت هذه يداً لمروان عند خُمَاعَةَ، فلهذا قال: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُمَاعَةَ بنت عوف ابن ملحَم فقالت المرأة: وَمَنْ لِي بِمِثَّةٍ مِنَ الْإِبْلِ؟ فَأَخَذَ عُوْدًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: هَذَا لَكَ بِهَا، فَمَضَتْ بِهِ إِلَى عَوْفِ ابْنِ مَحْلَمٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ وَجَدَ عَلَى مَرْوَانَ فِي أَمْرِ، فَأَلَى أَلَا يَعْفُو عَنْهُ حَتَّى يَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، فَقَالَ عَوْفٌ حِينَ جَاءَهُ الرَّسُولُ: قَدْ أَجَارْتُهُ ابْنَتِي، وَليْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ: قَدْ آلَيْتِ أَلَا أَعْفُو عَنْهُ أَوْ يَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِي، قَالَ عَوْفٌ: يَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِكَ عَلَى أَنْ تَكُونَ يَدِي بَيْنَهُمَا، فَأَجَابَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ إِلَى ذَلِكَ، فَجَاءَ عَوْفٌ بِمَرْوَانَ فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ وَوَضَعَ يَدَهُ

بين أيديهما، فعفا عنه، وقال عمرو: لا حُرَّ بوادي عوف، فأرسلها مثلاً، أي لا سيد به يناويه، وإنما سمي مروان القرظ لأنه كان يغزو اليمن، وهي: منابت القرظ^(١).

وفاء الحارث بن ظالم:

وكان من وفائه أن عياض بن ديهث مرَّ برعاء الحارث وهم يسقون، فسقى فقصر رشاؤه، فاستعار من أرشيّة الحارث فوصل رشاءه، فأروى إبله، فأغار عليه بعض حشم النعمان فاطردوا إبله، فصاح عياض: يا جراه، يا جراه! فقال له الحارث: متى كنت جارك؟ فقال: وصلتُ رشائي برشائك، فسقيتُ إيلي، فأغيرَ عليها، وذلك الماء في بطونها، قال: جوارُ وربِّ الكعبة، فأتى النعمان، فقال: أبيت اللعن! أغار حشمك على جاري عياض ابن ديهث فأخذوا أبله وماله، فاردّد عليه، فقال له النعمان: أفلا تشد ممّا وهى من أديمك، يريدُ أن الحارث قتل خالد ابن جعفر بن كلاب في جوار الأسود بن المنذر، فقال الحارث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي؟ ويروى: هل تعدّون الحلبة من الأعداء؟ يعني تركضون، ويروى «تعدون» من التعدي، أي: تتعدون، أي: تتجاوزون - فأرسلها مثلاً - أي: أنك لا تهلك إلا نفسي إن قتلتها، فتدبر النعمان كلمته، فردّ عليه عياض أهله وماله.

□ قال الفرزدق يضربُ المثل لسليمان بن عبد الملك حين وفي

ليزيد بن المهلب:

لَعْمَرِي لَقَدْ أَوْفَى وَزَادَ وَقَاؤُهُ عَلَى كُلِّ جَارٍ جَارٍ آلِ الْمَهْلَبِ

(١) «الوفاء» (ص ٩٢ - ٩٥).

كَمَا كَانَ أَوْفَىٰ إِذْ يُنَادِي ابْنَ دَيْهَاتٍ وَصِرْمَتُهُ كَالْمَغْنَمِ الْمُتَنَهَّبِ
فَقَامَ أَبُو لَيْلَىٰ إِلَيْهِ ابْنُ ظَالِمٍ وَكَانَ مَتَىٰ مَا يَسْلُلُ السِّيفَ يَضْرِبُ (١)

جابر عثرات الكرام وعلوهمته في الوفاء:

□ تنزل الشدة بالمرء فيتلفت إلى إخوانه الذين تربطهم به روابط المودة عسى أن يواسوا كربته، ويخففوا ما نزل به فمنهم الكريم الذي يبادر بالمواساة، ومنهم اللئيم الذي يتنكر لصديقه، فإن لقيه أعرض عنه كأنه لا يعرفه، وفي مثل هذا يقول الأول:

كم من أخ لك لست تنكره مادمت في دنياك في يسر
فإذا عدا - والدهر ذو غير - دهرٌ عليك عدا مع الدهر
فأرض بإجمال مودة من يقلي المقل ويعشق المشري
وعليك من حاله واحدة في العسر ما كنت واليسر

وفي القصة الآتية ترى كيف يكون الوفاء؟ وكيف يواسي الأخ أخاه إذا ألت به ملامة وتنزلت به فاقة؟.

كان خزيمة بن بشير الأسدي مقيماً بالجزيرة وكان معروفاً بالمروءة والكرم ومشهوراً بمواساة من تحل به نكبة، كانت نعمته وافرة، وعيشه رغيداً، فلم يزل على تلك الحال حتى قلب الدهر له ظهر المِجَنِّ، فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حيناً ثم ملوه، فلماً لاح له تغييرهم أتى امرأته، وكانت بنت عمه. فقال لها: يا بنت العم! قد رأيت من إخواني جفاء، وشاهدت منهم تغيراً وإعراضاً، وقد عزمت

على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأوى إلى منزله يتقوت بما عنده حتى نفذ.. وكان عكرمة الفياض واليًّا على الجزيرة من قبل سليمان بن عبد الملك، فجاء ذكر خزيمة في مجلس عكرمة وأخبره خبره، وشرح حالته فقال: أما وجد خزيمة مواسيًا ولا مكافئًا. ثم لما جن الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار وركب دابته ومعه غلام يحمل المال حتى وصل إلى خزيمة فدفعها إليه فقال خزيمة: من أنت! فقال عكرمة: ما جئت في هذا الظلام وأريد أن أعرف! قال خزيمة: حلفت ألا أقبلها أو أعرف من أنت؟ فقال عكرمة: أنا جابر عثرات الكرام. قال خزيمة: زدني إيضاحًا؟ قال: لا، ثم مضى عكرمة فلما رجع إلى منزله وجد امرأته في قتل وقد ارتابت في خروجه ليلاً، فعرفها الخبر، وطلب منها الكتمان ليكون عمله لله خالصًا.

أما خزيمة فإنه أصلح من المال شأنه، ودفع ديونه، وتجهز إلى سليمان بن عبد الملك، فلما دخل سلم بالخلافة فقال سليمان: ما أبطأك عنا؟ قال: ضيق الحال يا أمير المؤمنين إلى أن قبض الله لي جابر عثرات الكرام. فقال سليمان: لو عرفنا جابر عثرات الكرام لأعناه على مروءته؛ ثم عقد سليمان لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى أعمال عكرمة، فلما وصل خزيمة إلى الجزيرة نزل في دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة فيحاسب، فظهر قبل عكرمة أربعة آلاف دينار، فطالبه خزيمة بها، فقال: مالي إلى ردها من سبيل، فأمر خزيمة بوضعه في السجن مقيدًا بالأغلال، فأقام عكرمة في السجن حتى أضناه القيد، فلما علمت زوجته بذلك أرسلت جارية لخزيمة: أهكذا يكون جزاء جابر عثرات الكرام؟! فلما سمع خزيمة ذلك قال: واسوأته، جابر عثرات الكرام غريمي، ثم ذهب تَوًّا إلى السجن ففك أغلال عكرمة وقبّل رأسه واعتذر إليه، ثم سارا معًا إلى سليمان ليعرف من جابر عثرات الكرام، فلما عرف القصة قال

لعكرمة: لقد كان برك وبالأ عليك، ثم عقد سليمان لعكرمة الولاية على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمرٌ خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته فقال: بل أبقيه. فمكثا عاملين لسليمان مدة خلافته، وهكذا يكرم الله أهل المروءات ويضاعف لهم الجزاء، ويجنبهم المذلة والهوان، ويخلد ذكرهم التاريخ على مر الزمان..
وما ضاع مالٌ ورثَ الحمدَ أهله ولكنَّ أموالَ البخيلِ تضيعُ^(١)

الوفاء للأخ في الله والصاحب بعد مماته:

□ مَرَّ بِكَ قَوْلُ الْحَسَنِ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُخْلَفَ أَخَاهُ فِي أَهْلِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

□ قَالَ هُرَيْمُ بْنُ سَفْيَانَ: «كَانَ عَمْرُو بْنُ قَيْسِ الْمِثْلَانِيِّ يَمُرُّ بِنَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، وَمَعَهُ هَدِيَّةٌ قَدْ حَمَلَهَا، يَأْتِي بِهَا مَنْزِلَ مَنْصُورِ الْمُعْتَمِرِ قَالٍ: وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ مَنْصُورٍ بِمَا شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ. قَالَ: فَبَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَهُ تَعَاهَدَهُمْ بِنَحْوِ مَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مَا مَاتَ عَمْرُو».

□ وَعَنْ بَسْطَامِ التَّمِيمِيِّ قَالَ: «رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ مَصْرُوفٍ يَخْرُجُ مِنْ رِزْقِ ضَيْقٍ فِي التَّمِيمِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ يَجِيءُ طَلْحَةَ؟ قَالُوا: يَأْتِي أُمَّ عَمَّارَةَ ابْنَ عَمِيرٍ يَبْرُهَا بِالْبُنْفَقَةِ وَالْكَسُوءِ وَالصَّلَةِ. قَالَ: وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ عَمَّارَةَ بِبَضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ. قَالَ: وَكَانَتْ أُمَّ عَمَّارَةَ أَعْجَمِيَّةً»^(٢).

الوفاء في رياض الشعر ودوحته:

في رحاب الشعر = بعد القرآن والسنة يتذوق القارئ شيمة الوفاء،

(١) «الوفاء» (ص ٩٦ - ٩٩).

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص ٧١ - ٨٨).

ويلتمسها في جنبات كل بيت، ووراء كلِّ مَقْطَعٍ بإحساسها الصادق النقي..

□ فله در القائل وهو عبد الحميد الكاتب:

أُسِرَّ وفاءً ثم أظهرُ غيره فمن لي بعذرٍ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهُ^(١)

وفاء عبد الحميد الكاتب مروان بن محمد:

□ قائل البيت السابق هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري الكاتب المشهور، وكان قد اختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فلم يزل معه إلى أن شعر بقرب زوال ملكه فقال له: قد احتجتُ إلى أن تصير إلى عدوي وتظهر الغدر بي. وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد إلا البقاء معه حتى قتلًا معًا في بوضير بمصر سنة ١٣٢^(٢).

الوفاء الدائم:

وَالْعُسْرُ وَالْيُسْرُ سَاعَاتُ وَأَوْقَاتُ
تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ
إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ فَالْأَيَّامُ تَارَاتُ
إِلَيْكَ، لَا لَكَ لِلإِنْسَانِ حَاجَاتُ
وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ
النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْوَفَاءُ بِهِمْ
وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ
لَا تَقْطَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ
وَاشْكُرْ صَنِيعَةَ فَضْلِ اللَّهِ إِذْ جَعَلَتْ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ فَضَائِلُهُمْ

(١) «مجموعة المعاني» لعبد السلام هارون (١/٢٤٩) - طبع دار الجيل.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/٣٠٧).

دوام الوفاء بالعفو والغفران:

□ قال المغيرة بن حُبنا:

خُذْ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُ
فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى أَحَاكَ مُهَذَّبًا
أَخْوِكَ الَّذِي لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَلْقَاكَ فِي الْبِشْرِ وَالرِّضَا

□ وَذَكَرَ جَبَّارُ بْنُ سَلَمَى عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ إِذَا وَعَدَ الْخَيْرَ وَفَى، وَإِذَا أَوْعَدَ بِالشَّرِّ أَخْلَفَ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةَ الْمُتَهَدِّدِ
لِيَكْذِبُ إِيْعَادِي وَيَصَدِّقُ مَوْعِدِي
وَلَا يَرْهَبُ ابْنَ الْعَمِّ مَا عِشْتُ صَوْلَتِي
وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ
□ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ: «نَعَمْ» فَأَتَمَّهُ
وَلَا أَفْلَقْ: «لَا» تَسْتَرْخِ وَتُرْخِ بِهَا
فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
لَثَلَا يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّكَ كَاذِبٌ

□ وَأَحْسَنُ مَا وَرَدَ فِي إِنْجَازِ الْمَوْعِدِ قَوْلُ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمٍ:

ذَكَرْتُ مَوَاعِيدَ الْأَمِيرِ ابْنِ طَاهِرٍ
وَزَكَيْتُ مَا لَمْ أَحْوِهِ مِنْ عَطَائِهِ
وَمِثْلُ الْعَطَايَا فِي الْأَكْفِ عِدَاتُهُ
فَكُنْتُ كَمَنْ حَلَّتْ عَلَيْهِ زَكَاتُهُ

□ وَمِمَّا يَنْسَبُ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ فِي الْأَصْدِقَاءِ وَالْوَفَاءِ:

تَغَيَّرَتِ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ
وَأَسْلَمَنِي الزَّمَانُ إِلَى صَدِيقٍ
وَقَلَّ الصَّدَقُ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ
كَثِيرَ الْغَدْرِ لَيْسَ لَهُ رِعَاءُ

ولكن لا يدوم له وفاء

ورب أخ وفيت له بحق

□ ويقول في النساء:

رِيحُ الصَّبَا وَعَهْوُ دُهْنٍ سَوَاءٌ

دَعُ ذَكَرَهُنَّ فَمَا لِهِنَّ وَفَاءٌ

وَقَلُوبُهُنَّ مِنَ الْوَفَاءِ خَلَاءٌ

يَكْسِرْنَ قَلْبَكَ ثُمَّ لَا يُجْبِرْنَهُ

□ وقال في الوفاء بين الناس:

فَالنَّاسُ بَيْنَ مُحَاتِلٍ وَمُوَارِبٍ

ذَهَبَ الْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ

وَقَلُوبُهُمْ مَحْشُوءَةٌ بِعِقَابِ

يَفْشُونَ بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةَ وَالصَّفَا

□ ومثله:

فِي النَّاسِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْيَأْسُ وَالْجَزَعُ

مَاتَ الْوَفَاءُ فَلَا رِفْدٌ وَلَا طَمَعٌ

فَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى وَيُتَّبَعُ

فَأَصْبَرَ عَلَى ثِقَةٍ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ

رباط الصحبة بالوفاء:

صَحِبْتُهُمْ وَشَيْمَتِي الْوَفَاءُ

وَكُنْتُ إِذَا صَحِبْتُ رِجَالَ قَوْمٍ

وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاؤُوا

فَأَحْسَنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ

عَلَيْهَا عَنْ عَيْونِهِمْ غَطَاءٌ

وَأَبْصَرَ مَا بَعِيْبِهِمْ بَعِيْنِ

□ وقال الشافعي في الربط بين السّماحة والوفاء:

وَشَيْمَتُكَ السَّمَاحَةُ وَالْوَفَاءُ

وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا

□ وقال إبراهيم الشبراوي:

فقالوا: ما إلى هذا سبيلُ
فإنَّ الحُرَّ في الدنيا قليلُ

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنِّ خِلِّ وَفِي
تَمَسَّكَ إِن ظَفِرَتْ بِذِيْلٍ حُرٌّ

□ وقيل:

إِنَّ الْوَفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ عَزِيْزُ

أَشَدُّ يَدِيْكَ بِمَنْ بَلَوْتَ وَفَاءَهُ

□ ويشبهه قول الشاعر:

وقبل اليوم عَزَّ الأوفياءُ

يَمُوْتُ الْمَرْءَ لَيْسَ لَهُ وَفِيٌّ

فتأسفَ أن يفارقها البهَاءُ؟

أَتَدْرِي الشَّمْسُ أَنَّ لَهَا بَهَاءً

□ وقال الشاعر القديم:

ولا أمانة وسط القوم عُربانا

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مِنْ لَا وَفَاءَ لَهُ

□ وذكر الجاحظ في البيان والتبيين قول أحدهم:

صَادَقْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالكَرَمِ

فِي أَنْقِبَاضٍ وَحَشْمَةٍ فَإِذَا

وَقَلْتُ مَا قَلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

خَلَيْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا

□ ويشبهه:

ولكنَّ وجهي في الكرام عريضُ

مَالِي وَجْهٌ فِي اللَّئَامِ وَلَا يَدُ

إذا أنا لاقيتُ اللئام مريضُ

أَهْشُّ إِذَا لَاقَيْتُهُمْ وَكَأَنِّي

مطلب الوفاء صعب:

وأرتادُ جُودَ الحَبِّ فِي مَنبِتِ البخلِ

أرُومُ الْوَفَاءِ الصَّعْبِ بِالْمَطْلَبِ السَّهْلِ

□ ومنه:

فإن اغتباطاً بالوفاء حميد

دُرَيْتُ الْوَفِيِّ الْعَهْدِ يَا عُرُو فَاغْتَبَطْ

□ وقيل:

أفدي خُطاك بنفسي وهي قاصرة عنها، ولكنها أوفى الذي أُجِدُّ

الوفاء شرف للإنسان :

وإِنَّ الكرامَ إِذا ما اسْتَعطِفُوا عَطَفُوا
والصَّفْحُ عن مُذنبٍ قد تاب مكرمةً
والحرُّ يعفو لمن بالذنب يعترفُ
وفي الوفاء لأخلاق الفتى شرفُ

الحبُّ طاعةٌ ووفاء :

□ يقول الشاعر في وصف المحبِّ لرسول الله ﷺ:

مَنْ يدَّعي حَبَّ الرُّسولِ ولم يُفدْ
الحبُّ أولُ شرطِهِ وفروضِهِ
من هديه فَسَفَاهَةٌ وهُرَاءُ
إِنْ كان صِدقًا طاعةً ووفاءً

وفي وفاء الرسول ﷺ :

يا صفوة الرِّسْلِ الكرامِ وَمَنْ به
صَلَّى عليك اللهُ ما خفق الحشا
هدى الأنام مَحَجَّةً بيضاءَ
حَبًّا، وأخلصت النفوسُ وفاءً

وفي محبة العرب والوفاء لهم يقول الشاعر :

ناشِدْتُكَ اللهُ يا رُوحِي اذْهَبِي كَلْفَا
لا تَسألِيهم ذمًّا ما في محبتهم
بحبِّ قومٍ عن الجرعاء قد ذهبوا
فطالما قد وفي بالذمة العربُ

الوفاء للوطن :

□ قال ابن الرومي :

وإِذا ذَكَرُوا أوطانَهم ذَكَرْتَهُمْ
وإِذا ذَكَرُوا أوطانَ الرِّجالِ إِلَيْهِمْ
وإِلا أرى غَيري لهُ الدَّهْرَ مالِكا
مَآرِبُ قِضاها الشِّبابُ هِنا لكا
عَهودَ الصِّبا فيها فحَنُوا لِذِلكا

فَقَدْ أَلْفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكًا

الوفاء في اليسر والعسر:

□ أنشد الإمام محمد الخضر حسين تحت هذا العنوان:

مَسَّتِ الْعَيْشَ عُسْرَةٌ فَدَعَيْهَا تَبْتَلِي الصَّبْرَ سَاعَةً وَيُمُرُّ
جَارَتِي هَكَذَا الزَّمَانُ يُوَافِينَا بِيَوْمٍ يَجْفُو وَيَوْمٍ يَسُرُّ
مَا أَفْتَقَدْنَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَفَاءً وَاحْتِفَاءً بِهِ الْعَيُونَ تَقَرُّ

الوفاء بعهد الصداقة:

□ وأنشد الإمام أيضًا عن أحد أصدقائه وصلته به:

أَحْبَبْتُهُ مِلءَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا أَحْبَبْتُ مَنْ مَلَأَ الْوُدَادُ فُؤَادَهُ
فَظَفَرْتُ مِنْهُ بِصَاحِبٍ إِنْ يَدِرِ مَا أَشْكُوهُ جَانِي مَا شَكُوتُ رِقَادَهُ
وَدَرِيَتْ مِنْهُ كَمَا دَرَى مِنْي فَتَى عَرَفَ الْوَفَاءَ نَجَادَهُ وَوَهَادَهُ

الوفاء في تحقيق التراث:

□ مدح أحد الشعراء عالمًا مهتمًا بتحقيق التراث فقال:

وَفِيَتْ لِأَبَاءٍ طَوَاهُفُ زَمَانِهِمْ وَكُنْتَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الطِّي تَنْشُرُ
تِرَانًا وَأَخْلَاقًا وَعِلْمًا وَمَنْهَجًا إِلَى أَنْ طَوَيْتَ الْعَمْرَ زُرْعًا يُثْمِرُ
وَخَلَفْتَ لِي عَهْدًا وَدَرْبًا وَعِدَّةً يَحْقُفُّهُمْ مِنْكَ الرِّضَا وَيُنَوِّرُ
فَصَارَ جَمِيعُ الْإِرْثِ عِنْدِي أَمَانَةً وَوَاللَّهِ لَا يَخْزِي الْقَدِيمَ الْمُؤَخَّرُ

□ وقال ابن زيدون في قصيدته المشهورة يطلب الوفاء:

أضحى التناهي بديلاً عن تدانينا
 لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم
 دومي على العهد ما دُمننا مُحَافِظَةً
 أولي وفاء وإن لم تبذلني صلّةً
 وناب عن طيب لقيانا تجافينا
 رأيسا، ولم نتقلد غيره ديننا
 فالحرُّ مَنْ دانَ إنصافاً كما ديننا
 فالذكر يُقنِعنا والطيف يكفيننا

□ وقال المتنبي في مدحه يربط القدرة والوفاء:

إنَّ في ثوبِكَ الذي المجدُّ فيه
 كرمٌ في شجاعةٍ، وذكاء
 لضياءٍ يُزري بكلِّ ضياءٍ
 في بهاءٍ، وقدرةٌ في وفاءٍ

□ ومن غرر أحاسن أبي فراس الحمداني:

لم أؤاخِذُكَ بالجفاء لأنِّي
 فجميلُ العَدُوِّ غيرُ جميلِ
 واثقٌ منك بالوفاءِ الصحيحِ
 وقبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ

□ وقال ابن العميد:

أين لي مَنْ يفي بشكر الليالي
 حين ضاقت جبالها حيالي؟

□ وأنشد الحسن بن عبد الوهاب لرجلٍ يذمُّ صديقاً له، ويمدح كلباً بوفائه:

تخيرت من الأخلاق
 فإنَّ الكلبَ محبوبٌ
 وفيَّ يحفظُ العهدَ
 ويعطيك على اللين
 ويُنجيك من الغيظِ
 ما يُنفى عن الكلبِ
 على النُصرةِ والذِّبِ
 ويحمي عرصةَ الدِّبِ
 ولا يعطي على الضربِ
 ويُنجيك من الكربِ

□ وقال آخر:

قَدْ اقْصَرَ عَنِ لَيْلِي وَرَثْتُ وَسَائِلَهُ
لَكَانَ هَوَايَ لَيْلِي جَدِيدًا أَوْائِلَهُ

وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
وَطَّلَاعُ إِلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

وَبِتُّ بِمَا زَوَّدْتَنِي مَتَمِّعًا
خِلَافَكَ حَتَّى نَنْطَوِي فِي الثَّرَى مَعًا

فَخَاسَتْ (٢) شِهَابِي عِنْدَهُ وَيَمِينِي
كَمَا كَانَ يَلْقَى الدَّهْرَ أَغْبَرَ دُونِي
وَمَا كُنْتُ يَوْمًا قَبْلَهُ بِخَوْوَنٍ

وَأَعْوَزُ (٥) الصَّدْقَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ

□ وَقَالُوا: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وِفَاءَ الرَّجُلِ وَدَوَامَ عَهْدِهِ فَانظُرْ إِلَى

تَقْوَلُ الْعِدَى لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي الْعِدَى
وَلَوْ أَصْبَحَتْ لَيْلِي تَدِبُّ عَلَى الْعَصَا

□ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ:
وَلَكِنْ الْجَوَادُ أَبَا هِشَامٍ
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ

□ وَقَالَ آخَرُ:

وَمَنْ عَجِبَ أَنْ بَتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرَى (١)
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُكَ الْوَدَمَ لَمْ أَبِتَّ

□ وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ:

فَوَا أَسْفَا أَنْ لَا أَكُونَ شَهْدَتُهُ
وَأَلَّا لَقَيْتَ الْمَوْتَ أَحْمَرَ (٣) دُونَهُ
وَإِنَّ بَقَائِي بَعْدَهُ لَخِيَانَةٌ

□ وَقَالَ الْمَتْنَبِيُّ:

غَاضٌ (٤) الْوِفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي أَحَدٍ

(١) مستشعر الثرى، كأنه جعله شعاراً له في قبره.

(٢) خاست: لزمت موضعها واحتسبت، أو غدرت.

(٣) أحمر: أي في أوج شدته.

(٤) غاض: نقص.

(٥) أعوز: قلّ فما يوجد.

حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه.

□ قال الشاعر:

تَعْجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أَكْرَمَةٌ
وَالْحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ

تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وَلَا يَلِيْقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

□ وقال آخر:

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ
أَنْعِمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا

لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامٍ
فَالْمَطْلُ يُذْهَبُ بِهِنَجَةِ الْإِنْعَامِ

□ وقال آخر:

وَمِيعَادُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ
يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ

فَلَا تَزِدِ الْكَرِيمَ عَلَى السَّلَامِ
وَيُغْنِيكَ السَّلَامُ عَنِ الْكَلَامِ

□ وأنشدوا:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ» فَأَيْمُهُ
وَلَا فُكْلُ «لَا» تَسْتَرْخِ وَتُرْخِ بِهَا

فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبٌ
لِيَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ

□ وقال آخر:

لَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا
فَلَا تَعْدُ عِدَّةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا

وَلَا تَجُودُ يَدًا إِلَّا بِمَا تَجِدُ
وَاحْذَرْ خِلَافَ مَقَالٍ لِلَّذِي تَعِدُ

□ وقال آخر:

إِنَّ الْوَفَاءَ مِنَ الرَّجَالِ عَزِيزٌ

أَشْدُّ يَدَيْكَ بِمَنْ بَلَوْتَ وَفَاءً

وقالوا في الغدر والخيانة:

□ قال حرب بن جابر الحنفي:

وللجار وابن العم جَمًّا غَوَائِلُهُ
بصاحبه يوماً دمًا فهو آكله^(١)

رأيت أبا القِيَّارِ للغدرِ ألفًا
وإنَّ أبا القِيَّارِ كالذئبِ، إن رأى

□ وقال آخر:

وإنَّ وعدوا فموعدهم هَبَاءٌ

إذا عهدوا فليس لهم وفاءٌ

□ وقال عارق الطائي:

إليه، وبئسَ الشَّيْمَةُ الغدرُ بالعهدِ
إذا هو أمسى حلبة من دم الفصدِ

غدرت بأمرٍ كنتَ أنتَ دعوتنا
وقد يتركُ الغدرَ الفتى وطعامه

□ وقال آخر:

ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكنِ فِعْلُ

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كانَ كاذبًا

□ وقال آخر:

لِي التجارِبُ في ودِّ امرئٍ غَرَضًا

جَرَّبَتْ دهري وأهليه فما تركت

□ وقال آخر:

إنَّما العَارُ كُلُّهُ خُلْفٌ وَعَدِكُ

إنَّ خُلْفَ الوعيدِ ليس بعارٍ

□ وقال مزاحم بن الحارث العقيلي:

(١) إشارة إلى ما هو متداولٌ من أكلِ الذئبِ لصاحبه الذئبِ إذا رأى عليه دمًا.
والبيتان في حماسة البحري (ص ٢١٠).

ويومًا على دين ابن خاقان دينها (١)

ومن لم يجيء بالعين حيزت رهونها (٢)

أجاب إليها عالمٌ وجهولٌ

إلا ذنوبٌ إذا علة الأسرارِ

كأنني جاهل بالزمن (٤) والناس

ولا كل من أنصفته لك منصف

فيومًا تراها بالعهود وفيّة

يدًا بيد مَنْ جاء بالعين منهم

□ وقال أبو فراس:

نعم دعيت الدنيا إلى الغدرِ دعوة

□ وقال آخر:

كل الذنوب خفيفةٌ محمولةٌ

□ وقال آخر:

أبغبي الوفاء بزمنٍ (٣) لا وفاء به

نكرانُ المحاسن:

□ قال الشاعر:

وما كلُّ من تمواه يهواك قلبه

□ وقال آخر:

(١) خاقان: ملك الترك وعني به كسرى قباد بن فيروز. ملك الفرس. وكان قد قام مزدك في زمانه فدان بدينه من اشتراك القوم في النساء والأموال كما اشتركوا في الماء والنار والكلأ. يريد أن نفسها تطاوعها على مواصلة كل من تعرض لها ولا تعاف أحدًا.

(٢) هذا تمثيل، أي من جاء منهم بالنقد جازته بمثله نقداً، وهو ما سماه بالعين، أي من حضر منحة الحاضر من ودها.

وأما من غاب عنها فكان رهنه قد ضاع وغلق، أي كأنه أودع قلبه رهينة لا رد لها.

(٣) في الأصل بدهر وهي لأبي فراس، وقد غيرتها إلى «زمن» حتى لا يُعاب الدهر ويُسب.

(٤) انظر الهامش السابق.

مواعيد عُرُوبِ أخاه يشرب

وعذت وكان الخلفُ منك سجيّةً

□ وقال آخر (١):

يلاقٍ كما لاقى مُجِيرَ أمِّ عامر (٢)

ومَنْ يصنع المعروفَ في غيرِ أهله

أحاليب (٤) ألبان اللقاح الدوائر

أعدّها لما استجارت بداره (٣)

فرتّه (٦) بأنيابٍ لها وأظافر

وأسمنها حتى إذا ما تمكنت (٥)

يجود بمعروفٍ على غير شاكر (٧)

فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من

□ وقال آخر:

فإنك مَن ضيع السرَّ أذنب

إذا ما جعلت السرَّ عند مضيع

□ وقال آخر:

مني، وما سمِعُوا من صالح دفنوا

إن يسمِعوا سُبَّةً طاروا بها فَرَحًا

□ وقال المتنبي:

رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

أقلَّ اشتياقًا أيُّها القلبُ إنني

لفارقتُ شيبِي مُوجِعِ القلبِ باكيا

خُلقتُ ألوقًا لو رجعتُ إلى الصِّبَا

(١) هي لأعرابي، والأبيات مع قصتها في حياة الحيوان للدميري (١١٧/٢).

(٢) أم عامر: كنية الضبيع.

(٣) عند الدميري:

أدام لها حين استجارت بقره قواها من ألبان اللقاح الغرائز.

(٤) الأحاليب: جمع إحلابة، وهو أن يحلب لأهله وهو في المرعى لبنا ثم يبعث به

إليهم ما زاد منه على السقاء. واللقاح: جمع لقوح وهي الإبل بأعيانها.

(٥) عند الدميري: «وأشبعها حتى إذا ما تملأت».

(٦) فرثه تفريره: قطعته وشقصته.

(٧) عند الدميري: «غدا يصنع المعروف مع غير شاكر».

ما أقلّ الوفاء وأندرُه:

وَدَدْتُكَ لَمَّا كَانَ حُبُّكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مُقَسَّمًا
ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه على كثرةِ الوُرَادِ أَنْ يَتَهَدَّمَا

نسيان الأحاباب بعد موتهم وهذا من قلة الوفاء:

□ وقال أرطاة بن سُهيّة^(١):

وكائن ترى من ذات شجو وعولة بكت شجوها بعد الحنين المرجع^(٢)
فكانت كذات البو لما تعطفت على قطع من شلوه المتمزع^(٣)
متى لا تجذه تنصرف لطياتها من الأرض أو تعمد لإلف فترع^(٤)

(١) هو أرطاة بن زفر بن عبد الله، وسُهيّة أمه. وهو من شعراء الدولة الأموية. وكان امرأ صديق شريفًا في قومه.

(٢) الأبيات في «الأغاني» (١١/١٣٨)، يرثى بها ابنه عمراً والشجو: الحزن والهم. والعولة: رفع الصوت بالبكاء، وحرارة وجد الحزين والمحب من غير نداء ولا بكاء. وكذلك العويل: وفي الأغاني: «ذات بث». والبث: الحزن.

(٣) البو: الحوار، وولد الناقة. وقيل: جلده يحشى تبنا أو ثماما أو حشيشًا لتعطف عليها الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أمه لتر أمه فتدر عليه. وفي الأصل: «كذات البر»، صوابه في الأغاني. والشلو: واحد الأشلاء. وهي الأعضاء والجلد والجسد.

(٤) والطيات: جمع طية، وهي المنية، والوطن، والمنزل. وفي «اللسان» «وقد يخفف في الشعر». والبيت هنا شاهد لتخفيف الياء. تريع. من قولهم: ربع بالمكان يربع. اطمأن. وبعد هذا البيت في «الأغاني»:

عن الدهر فاصفح إنه غير معتب وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع
وبدلاً منه يقال: عن الزمن فاصفح إنه غير معتب.

عَوْدٌ عَلَى بَدءِ :

وفاء الصحابي الجليل أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى القرشي العبشيمي رضي الله عنه :

صهر رسول الله ﷺ، وزوج بنته زينب، وهو والد أمانة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلته.

• أُسِرَ في غزوة «بدر» فبعثت زينب قِلادتها لِتَمَكُّهُ وكانت هذه القلادة لأم المؤمنين خديجة أعطتها لزينب رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «إن رأيتم أن تُطَلِّقُوا لهذه أسيرها»، فبادر الصحابة إلى ذلك.

□ قال المسور بن مخزومة: «أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال: «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي، فَوَفَّى لِي»، وكان قد وعد النبي ﷺ، أن يرجع إلى مكة بعد وقعة بدر، فبيعت إليه زينب ابنته، فوفى بوعدده، وفارقها مع شدة حبه لها، وكان من تجار قريش وأمنائهم.

ثم أسلم قبل الحُدَيْبِيَّةِ بخمسة أشهر، ولمَّا هاجر، ردَّ عليه النبي ﷺ زوجته زينب بعد ستة أعوامٍ على النكاح الأول ^(١).

وفاء ابن عباس رضي الله عنهما لحبيبه ﷺ، ولأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه :

□ عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب قَدِمَ على ابن عباس البصرة، ففرَّغ له بيته، وقال: لأصنعنَّ بك كما صنعتَ برسول الله ﷺ، كم عليك؟ قال: عشرون ألفاً، فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، ومتاع البيت ^(٢).

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/٣٣٠ - ٣٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» ترجمة أبي أيوب الأنصاري (٢/٤٠٢ - ٤١٣)، و«نزهة الفضلاء» (١/١٧١).

الإمام المحدث الزاهد عطاء بن أبي سعد الهروي الفُقاعي تلميذ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري:

□ قال السَّمعاني: «كان ممن يُضرب به المثل في إرادة شيخ الإسلام والجدِّ في خدمته، وله حكايات ومقامات في خروج شيخه إلى بلخ في المحنة، وجرى بينه وبين الوزير نظام الملك محاورة ومُرادة واحتمل له النظام.

قال: وسمعتُ أن عطاءً قُدِّم للخشبة ليُصلَب، فنجَّاه الله لحسن نيَّته، فلمَّا أُطلق، عاد إلى التظُّم، وما فتر، وخرج مع النظام ماشياً إلى الروم، فما ركب، وكان يخوض الأنهار مع الخيل ويقول: شيخي في المحنة، فلا أستريح»^(١).

☞ أين هذا من أبناء زماننا.

إذا قيل: في الدنيا خليلٌ؟ فقل: نعم خليل اسمٌ شخصٍ لا خليل وفاءٍ

اللهم اجعلني عند حسن ظن شيخي المقدم بي وأجب دعاءه لي:

☞ أرسل لي شيخي الدكتور محمد إسماعيل المقدم رسالة على الهاتف المحمول بتاريخ ٣١/١٠/٢٠٠٦م كتب فيها: «أكرمك الله يا أوفى الأوفياء، ونصر بك السنَّة».

وأنا أقولها لوجه الله خالصة لشيخي المقدم:

سيبدو لكم في مضمرة القلب والحشا سريرة حب يوم تبدو السرائر

بضاعتي طيلة عمري مزجاة إلا أن عملي الوحيد الذي أعلم صدقي

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٥٤ - ٥٦).

فيه إن شاء الله هو حبي لشيخني المقدم في الله ووفائي له.. ويعلم الله أني أقولها خالصة لوجه الله أنه ما من شاب من أبناء الحركة الإسلامية في السبعينات وما بعدها في مصر مَسَّ محرِّبة ولا تناول قرطاسًا على المنهج السلفي إلا وللشيخ المقدم في عنقه مِنَّةٌ ودين، وكيف لا وهو مقدم الدعوة السلفية والمنظر لها والذاب عن قضاياها ومُجدِّد أمرها في ربوع مصرنا، أنكر هذا حاسد أو حاقد لا يرى إلا نفسه أو قبيلَهُ ولوددت والله يعلم صدقي - أن لو أخذ من عمري فزيد في عمره - لو جاز ذلك - وأن أفديه بدمي ونفسي ومالي وأولادي، وأن لا تمر عليه لحظة من هم أو أسي لمن يتنكَّر له أو يغمطه حقه، والله در القائل: «بعتكم أغلى المُلْك فلا تنسُوني غدًا لكرامة الدِّلال»، ولو استقبلت من عمري ما استدبرت ما فارقت لحظةً ولحملتُ نعله.. ولي الشرف في ذلك.. ولقبَلْتُ قدمه كما قبَل الإمام مسلم قدم البخاري، ولقلتُ له عن أي إساءة أُسيء بها، أو تنكر له: عَفَوَا يا أستاذ الأستاذين ويا طيب السلفية في عللها.. والله أنت شامة مصرنا وزين مجالسنا، وقررة أعيننا، وكم في النفس والفؤاد ألوان من الوفاء لك عسى الله أن يظهر عشر معشارها لتطيب حياتنا.. جعلني الله خادمًا لكم ذابًا عنكم.. وفياً لكم وخادمًا في كل نفسٍ من أنفاسي لكم ولذويكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ✎ شيخني الحبيب:

لِيُسَقِّ عَهْدَكُمْ عهد السُّرور فما كنتم لأرواحنا إلا رباحينا

